اندماج الجالية المسلمة في أوروبا
(الضوابط والتحديات)

إعـــــداد

حسناء حيرش

ملخص البحث:

تعيش الجالية المسلمة في أوروبا ظرفية حرجة، تتردد بين الاندماج في المجتمع الذي تعيش فيه لتحقيق الانفتاح المنشود، وبين الانطواء على الذات لتحصين دينها؛ عقيدة وشريعة.

هذا يحتم على الأجيال المهاجرة كسب رهان التحدي الذي فرضه الواقع، باستفادتها من أهم مميزات التشريع الإسلامي الذي يتسم بالوسطية والاعتدال، وذلك بأن تتبنى منهجاً رشيداً، متوازناً، يتلاءم مع أصول ومقاصد التشريع الإسلامي، وينسجم مع مستجدات العصر الحضارية، وينفتح على متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه. في جو من التآخي الإنساني، والعمل الاجتماعي الفعال. فيكون بذلك الوجود الإسلامي في ديار الغرب مصدر إشعاع حضاري بما يحمله من قيم حضارية سمحة، مؤمنا بمبدأ التدافع والخَيْرِية الإنسانية، في محاولة منه لصياغة الحاضر والتخطيط لمستقبلِ حضاري لمجتمعه.

المقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فعلى إثر التحولات السكانية التي أفرزتها الهجرة في المقام الأول، برزت تساؤلات وإشكالات خطيرة على كافة المستويات، في عديد من البلدان الأوربية، تعبر عن جهل في كيفية إدارة العلاقة بين مكونات مجتمعاتها التي باتت أكثر تعددية، و هذه التساؤلات لم تكن بمنأى عن بعض مكامن القلق، الناشئة عن مخاوف تبلور مجتمعات موازية، أو جيوب سكنية معزولة عن الإطار العام للمجتمع، ذات الوقع السلبي على المجتمع الأوربي.

فبعدما تبين أن الوجود الإسلامي في الغرب أصبح جزءاً لا يتجزأ عن الكيان المجتمعي العام، اتجهت الأنظار لمسألة اندماج الجالية المسلمة وانخراطها في الحياة الأوربية، فقد أدرك المسؤولون، أن المجتمع أمام مرحلة غدا فيها الاندماج ضرورة ملحة، لتحقيق الأمن والسلام الداخلي والخارجي، ومطلباً حضارياً لكلا الطرفين، سواء من طرف المجتمع الأوربي، لتحقيق التفاعل و التكامل الاجتماعي والتعايش السلمي، أو من جانب الجالية المسلمة، لتحقيق الشهود الحضاري لقوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

(١) [البقرة: ١٤٣].

فإذا ما اندمج المسلم في المجتمع الأوربي معتمداً على رصيده القيمي والأخلاقي والروحي الإسلامي، وحقق توازنا في الاستفادة والإفادة، فان ذلك سيؤدي بلا شك إلى تحقيق شراكة حضارية، تؤدي بهم إلى الاندماج في هذا المجتمع اندماجا إيجابيا لتتحرك دورة الفاعلية والإنتاجية لديهم من جديد.

ونظراً للقيمة الوازنة لمسألة الاندماج الاجتماعي في عصرنا الحاضر، كان اهتمامي بهذا الموضوع، ليكون موضوع البحث والدراسة لهذه الرسالة العلمية، لتناوله بعمق أكثر، وتحليل أهم محاوره، التي من شأنها تأطير مسألة الاندماج في المجتمعات الغربية، والأوربية بوجه خاص، بالنظر إلى ضوابط هذه العملية والآليات المدعمة لها، وكل ذلك مراعاة لمصالح جاليتنا المسلمة هناك، لأنها جزء من الكيان الإسلامي، الذي لا يجب إغفاله البتة، لإدراجها ضمن المخطط العام للصحوة الإسلامية.

وقد تناولت هذا الموضوع، ناهجة في ذلك منهج الجمع والتركيب والاستقراء، باذلة الجهد في جمع ما أمكن من معلومات عن مسيرة الاندماج، ومجالاته وسياساته، علماً أن الموضوع حديث العهد.

وقد اعتمدت المنهج النظري في التحليل حتى نلم ببعض ظروف جاليتنا هناك، وكيفية إدماجها في مجتمعاتها، في ظل غياب منهج تطبيقي ميداني، لرصد الآليات والتدابير على أرض الواقع . فاقتصرت على المنهج التحليلي التركيبي لربط المعطيات التي تحصلت عليها مما أتيح لنا من إمكانيات، لفهم المسألة أكثر والخروج بنتائج جديرة في المساهمة ولو بالقليل في السير قدما نحو التدبير الحكيم لاندماج المسلمين في أوربا.

وقد قسمت البحث على المحاور التالية:

- **مـقدمـــة.**
- **مدخـــل.**
- **الفصل الأول: قواعد وضوابط الاندماج:**

المبحث الأول : ضبط وتحرير مفهوم الاندماج.

المبحث الثاني : الاعتزاز بالهوية.

المبحث الثالث : الوقوف على حقوق وواجبات المواطنة.

المبحث الرابع : الاعتراف بسنة الاختلاف.

المبحث الخامس : اكتساب مبدأ الحوار مع الآخر.

المبحث السادس : الانفتاح والتفاعل وعدم العزلة.

المبحث السابع : الوفاء بالعهود والمواثيق.

- **الفصل الثاني: عوائق الاندماج:**

المبحث الأول : سياسات الاندماج في أوربا.

المبحث الثاني : الصورة المشوهة عن الإسلام.

المبحث الثالث : ظاهرة الإسلامفوبيا.

المبحث الرابع : التمييز العنصري.

المبحث الخامس : اليمين المتطرف.

- **الفصل الثالث: الآليات المساعدة على الاندماج:**

المبحث الأول : ثقافة المشترك الإنساني: أرضية للتعايش.

المبحث الثاني : العدل الاجتماعي :لاستتباب الأمن.

المبحث الثالث : العلاقات والروابط الاجتماعية.

المبحث الرابع : الفعالية الحضارية.

المبحث الخامس : المؤسسات الاجتماعية ودورها في تفعيل الاندماج.

- توصيـــات.

- خـــــاتمة.

- قائمة المصادر والمراجع مرتبة حسب العلوم.

واللّه الموفق لما يحب و يرضى، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مدخـــل
أي اندمــاج نتحدث عنه؟

غدا الإسلام حقيقة واقعية في المجتمع الأوربي، فالإسلام قد غرس في أوروبا غرسًا، وتمكنت جذوره إلى الأبد. فأصبح جزءاً من الصعب تجاهله من حيث النسيج الاجتماعي الغربي العام، يفرض وجوده بحزم وجدية.

فقد انتقل الوجود الإسلامي ، من حالة الاستقرار المؤقت، إلى حالة المواطنة والإقامة الدائمة، وعليه أصبحت مسألة اندماج الجالية المسلمة في الحياة الغربية، من بين أهم القضايا التي حظيت باهتمام منقطع النظير، من قبل مختلف هيئات ومكونات المجتمع، على تفاوت في مستوى عيشها، وحجم موقعها الاجتماعي، حتى أصبح مصطلح "الاندماج " تلوكه الألسن، ويحضر بقوة في مختلف المحافل الدولية، والأنشطة الثقافية، رغم حداثة عهده .

ومن هنا تتجلى أهمية النظر في مسألة الاندماج - من رؤية إسلامية -، وضرورة بَحْثِ المبادئ الإسلامية التي على أساسها يستطيع المسلم الاندماج في هذه المجتمعات غير الإسلامية، دون التنازل عن دينه وهويته.

وقبل الخوض في مسألة الاندماج وبيان ضوابطها ومرتكزاتها، والتحديات التي يواجهها المسلمون في تلك البلدان إزاء هذه المسألة، فإنه لابد أن نحدد أولاً المعاني التي يحملها مصطلح "الاندماج"، وذلك بالنظر إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية، ثم موازنته بمفاهيم متقاربة المعاني.

مصطلح الاندماج (Intégration) الذي يتكرر بنفس الصيغة اللغوية أو ما يقربها، فأحيانا يُترجم بغير ذلك من المفردات القريبة منها دِلالياً، كالإدْماج والضمّ

والانضمام والتأليف والإدغام وغيرها، لتظل كلمة الاندماج الأكثر استعمالاً وشيوعاً، لذلك أتبنى نفس النهج في استخدام هذا المصطلح، لكن بعد استيعاب دلالته اللغوية الأصلية، التي سوف تمكننا لا محالة من وعي الجانب الاصطلاحي الشائع بيسر وفطنة وإدراك، بعيدا عن أي إسقاطات إيديولوجية مركبة .

إذا كانت بعض القواميس الغربية الحديثة مثل لاروس Larousse الفرنسي[1] وكذا دودن Duden الألماني، تلتقي في تحديدها لمصطلح (Integration) حول ما معناه: الدخول في وحدة أو في الكل، والتجانس مع مكونات تلك الوحدة، بتجاوز كل الاختلافات والمُفارقات . فإن جملة من المعاجم العربية القديمة تكاد لا تخرج عن ذلك الخط الدلالي، ف" دَمَج الشيء دُموجا إذا دخل (في الشيء واستحكم فيه) والتأم (كاندمج) اندماجا"[2]، و" دامجه دماجا، إذا وافقه على الصلح، يقال تدامجوا. ويقال فلان على دمَج فلان، أي على طريقته .."، وإذا" دامجتك على الأمر أي جامعتك عليه وتدامجوا عليه أي تألبوا عليه. ودمج أمرهم أي صلح "[3].

فالدلالة اللغوية ـ كما يبدو ـ تتبني على معنيين أساسيين:

الأول : الاجتماع والتداخل.

الثاني : الاستحكام والتجانس.

---

(١) النص الأصلي : Le fait d'intégrer ou de s'intégrer ,son intégration dans l'équipe n'a pas posé de problèmes" انظر قاموس "LAROUSSE" ، طبعة ١٩٩٥م ، فرنسا / باريس . ص: ٥٨٢.

(٢) "تاج العروس من جواهر القاموس" محمد مرتضى الزبيري، دار مكتبة الحياة لبنان، المجلد الثاني، ص ٤٥.

(٣) "المحيط في اللغة" الصاحب بن عباد، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، المجلد السابع، ص ٥٧.

ويمكن القول إن الدلائل اللغوية لهذه المفردة تكاد تتوحد توحداً كاملاً، رغم اختلاف المعاجم التي وردت فيها، من حيث الزمان والسياق واللغة والثقافة، وهذا يعني أن ترجمتها كانت في محلها، وأن استعمالها يظل صحيحاً عندما يقترن الأمر بالشق اللغوي، ولا يشذ إلا عندما يخالطه ما هو أيديولوجي وثقافي كما سيأتي.

أما عن المعنى الاصطلاحي المقصود من الاندماج، فكثيراً ما يطلق عليه "التكامل الاجتماعي social Intégration"[(١)]، للتعبير عن الالتقاء بين عنصرين أو أكثر وامتزاجهما، فقد عرفه الدكتور مصلح الصالح بقوله: "هو اكتساب جماعة الهجرة لعناصر كافية من ثقافة المجتمع المضيف، وذلك لجعل الوحدة ممكنة في المجتمع"[(٢)] فهو بذلك عملية انسجام "بين مختلف الطبقات والجماعات المختلفة السلالة وغيرها من أنماط المجتمع في وحدة متكاملة"[(٣)].

وعليه؛ فالاندماج هو انسجام وتوافق في مختلف عناصر الحياة الاجتماعية في وسط متعدد الهويات والثقافات، لتتحد في وحدة منسجمة ومتكاملة الأجزاء، تتجاوز الاختلافات وتتخطى الفوارق.

وبناء عليه، فإن اندماج الجالية المسلمة في المجتمع الأوربي لن يتحقق إلا إذا انخرطت في مختلف أنساق المنظومة الأوربية، وذلك بالتأقلم[(٤)] الإيجابي،

---

(١) فالتكامل هو: "ترابط أجزاء الكائن الحي أو أجزاء المجتمع، أي توقف بعضها على بعض" انظر: "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٩١.

(٢) "الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية" د مصلح الصالح، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، ص ٢٨١، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية.

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م، ص ٣٨٩.

(٤) التأقلم: "العملية التي بمقتضاها تكيف المهاجرون مع البيئة الجديدة كما يقصد بالتأقلم على سبيل المجاز التكييف الفكري والاجتماعي مع الهيئة الاجتماعية " المصدر نفسه، ص ٦.

والتكيف الاجتماعي[1]، ليتحقق أكبر قدر ممكن من التوافق الاجتماعي[2] المنشود، والانسجام في النسق الاجتماعي الأوربي، لا يعني البتة الانضمام إلى ما يشبه الذوبان في ثقافة الآخر، ونكران الهوية الأصيلة؛ فالتأقلم ضرب من التواصل المتبادل، الواعي بمركبات المجتمع ومفرداته، ليَنتُج عن ذلك اندماج إيجابي؛ يتشبث فيه المسلم بجذوره وخصوصياته العقدية والقيمية والأخلاقية، مع الانفتاح الدائم والتعاون مع أهل العقائد والحضارات الأخرى تحت مظلة المجتمع الواحد، الخادم لجميع مصالح فئاته وشرائحه.

ومصطلح الاندماج بهذه المعاني النبيلة، يلتقي بشكل كبير مع مفهوم "التعايش السلمي" في المجتمعات، فلهذا المصطلح أيضا العديد من المعاني والدلالات، تختلف بحسب المجال الذي يوظف فيه. والمجال الذي يعنينا في هذا الصدد هو المعنى: الديني، والثقافي، والحضاري، ويشمل تحديداً معنى التعايش الديني أو التعايش الحضاري، والمراد به أن "تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا، من دون استثناء "[3]، في إطار من التفاعل

---

(١) التكيف الاجتماعي: Adaptation Social" عملية اجتماعية تتضمن نشاط الأفراد أو الجماعات وسلوكهم الذي يرمي إلى الملائمة والانسجام بين الفرد والفرد أو بين جملة أفراد وبيئتهم، أو بين الجماعات المختلفة .." المصدر نفسه ص ٣٨٠.

(٢) التوافق الاجتماعي: Ajustement social "محاولة الفرد - عندما يواجه مشكلة خلقية أو يعاني صراعاً نفسياً- تغيير عاداته، واتجاهاته ليوائم الجماعة التي يعيش في كنفها" معجم المصطلحات الاجتماعية أحمد زكي بدوي، ص ٣٨٠.

(٣) كتاب "الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين" د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ١٤١٩هـ /١٩٩٨م، ص ٨.

الاجتماعي[١] المتوازن، إذ إن العلاقات الاجتماعية المختلفة، التي تجمع الطالب بالمعلم، والمريض بالطبيب، والزوج بالزوجة والأب بالأبناء والعامل بمديره ..، لن تكون طيبة، إلا إذا جمع بينهم التفاعل على مختلف المستويات، حتى يقع التجاوب بينهم في إطار هذه العلاقات، لمعرفة أحوال الطرف الآخر وتفهم ظروفه. وتقدم المصالح العامة دائماً، لأن المصالح الخاصة كلما طغت على العامة، أدى ذلك إلى تفكك البناء الاجتماعي، تبعاً للقاعدة الأصولية: "المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة".

ليحقق أفراد المجتمع الواحد على اختلاف هوياتهم ومعتقداتهم وثقافتاهم، تكاملاً فعّالاً، في القدرات والخبرات والإمكانات، وترابطاً وثيقاً بالوحدة الناظمة للمجتمع، في ضوء قيم التعارف والتسامح والاحترام، التي تفرضها القيم الإنسانية العالمية، حتى يؤدي الكل وظائفه بالطريقة الأمثل، فيحصل بذلك تكامل بين سبل التنمية وبرامجها وأهدافها ووسائلها في مختلف المجالات.

ونجد العديد من الدارسين من يربط بين مفهوم الاندماج بمصطلح "المواطنة"[٢]، أو بالأحرى "فقه المواطنة"، كما هو الشأن مع الدكتور عبدالحميد النجار[٣]، في كتابه الذي أسماه "فقه المواطنة"، وكذا المفكر الإسلامي والأستاذ الجامعي، الدكتور "طارق رمضان" الذي أثار قدرًا كبيرًا من الاهتمام والنقاش.

---

(١) التفاعل الاجتماعي: Interaction Social عملية اجتماعية تتجلى في الاتصال والعلاقة بين فردين أو أكثر أو بين الجماعات. انظر: الشامل: قاموس المصطلحات العلمية، ص ٢٨٣.

(٢) المواطنة ـ Droit de cité هي: "صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته، عن طريق التربية على الوطنية .." معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية " ص ٦٠.

(٣) الأمين العام المساعد للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، رئيس المجلة العلمية الصادرة عن المجلس.

لأن انـدماج المـسلم الأوروبـي في المجتمـع الأوروبـي سيـشجع وصـوله للمواطنـة الحقيقية، فالتحول من فكر الأقلية إلى فكر الجماعة والاندماج والمواطنة على أساس من القيم والقواعد والمبادئ الإسلامية العالمية الإنسانية التي من خلالها يعي المسلم كافة حقوقه والتزاماته اتجاه مجتمعه، بذلك يكرس مبدأ "المواطنة النشطة" والدائمة.

لذا وجب على كل مسلم في الديار الأوربية، أن يثبت حضوره في المجتمع، ويشارك في مختلف النقاشات والحوارات السياسية والمجتمعية والثقافية، ليحقق اندماجه الكامل، على المستوى الاجتماعي، وكذا الثقافي، إذ إن الإسلام رسالة عالمية للإنسانية كافة، لم تأتِ لتنميط الثقافة في كل مكان، بل هي تدعونا ـ باسم عالمية مبادئها ـ إلى تقبل تنوع الثقافات، والانفتاح على الآخر بما يمثله من قيم ومبادئ وتوجهات، للاستفادة من كل ما فيه خير وصلاح.

ليصبح وجود المسلم هناك وجوداً طبيعياً، فيه تأثر و تأثير، بمشاركته في الحياة الاجتماعية والثقافية وكذا السياسية، وبإسهامه في السير قدما في العملية الديمقراطية في تلك المجتمعات بكل الوسائل المتاحة، فيُظهِر ذلك في درجة عالية من التفاعل السياسي المتبادل بين أعضاء المجتمع نتيجة الموافقة لا القهر.

الفصل الأول
قـواعـد الانـدمـاج

بـالنظر للـصعوبة الظرفيـة المعاصـرة الـتي يمـر بهـا المجتمـع الـدولي، غـدا الانـدماج الإيجـابي الفعـال، مطلبـاً اجتماعيـاً ملحـاً، فحـضيت مـسألة انـدماج الجاليـة المـسلمة في أوربـا، باهتمـام واسـع، وسـخرت لهـا جهـود، ورسمـت مخططـات، على أساسـها ينخـرط الأجانب عموما والمسلمون خصوصا في بوتقة الدول الأوربية.

والمقاربة التي تفرض وجودها في هذا المقام هي:

الرؤية الإسلامية الوسطية المعتدلة لاندماج الجالية في البلدان غير الإسلامية.

هـل طبيعـة هـذا الـدين تعيـق الانـدماج؟ أم أنهـا تـدعم الانـدماج مـادام قائمـا بآليـات سليمة، وخادما لأغراض إنسانية نبيلة؟

للإجابة عن هذه التساؤلات أخصص هـذا الفصل لعـرض أهـم القواعـد الـتي تـؤطر عملية الاندماج، المستقاة من الرؤية الإسـلامية الـتي تتسم بالوسـطية والاعتـدال، بـالنظر للقـيم والمبـادئ الـسمحة الـتي يحـث عليهـا الإسـلام، الـتي مـن شـأنها أن تـضع عمليـة الاندماج في المسار القويم، حتى تتحصل النتائج المرجوة من تماسك وتكتل اجتماعي بنّاء.

المبحث الأول
تحرير المصطلح والوقوف على مقتضياته وأهدافه

هَل يعلم المواطن المسلم في أوربا ما المقصود من مفهوم الاندماج؟ هل يعرف ما المطلوب منه إزاء هذه القضية؟ هل المطلوب هو أن ينسى دينه وهويته وحضارته وثقافته ولغته وعاداته وينصهر في دوامة المجتمع الذي يعيش فيه؛ حتى يؤهل ليكون مواطناً أوربياً؟

أم أن المطلوب منه هو تحصين خصوصيته الدينية والثقافية، وفي ذات الوقت الانخراط والمشاركة في مجتمعه؟

كلها تساؤلات وجيهة، لا يزال المسلم المقيم في البلدان الأوربية في حيرة أمامها، في ظل غياب توجيهات رسمية كفيلة بتوجيه الرأي العام المسلم هناك.

هذا ومن اللافت للنظر أن المسلم في الديار الغربية يجد نفسه أمام خيارات صعبة:

- إما التقوقع والانكفاء على الذات؛ تمسكاً منه بالهوية الإسلامية المتميزة مع ما يقتضيه هذا الخيار من تغييب وتهميش وجمود في دورة الفعالية الحضارية وغياب للرسالة الدعوية ...
- وإما الانصهار والذوبان والاندماج غير المشروط، انبهاراً منه بالحداثة الغربية، أو عجزاً منه عن إثبات الذات، فينتج عن ذلك انسلاخ عن ثوابت ومقومات الهوية الإسلامية...

"وبينهما خيار التعايش الديني السلمي القائم على قبول الآخر واحترام خصوصياته، والذي يغذيه التعاون الإنساني الهادف إلى تحقيق العدالة والسلام والتنمية

والعيش الكريم للجميع .."[1]، وهو خيار صعب المنال، نظراً لاختلاف القيم والمرجعيات والإيديولوجيات ..، وكل هذا يمكن تجاوزه إن وُجدت الحِنْكة والفِطنة في التعامل مع مبدأ الاختلاف.

فبين هذا الخيار وذاك، وأمام هذا التخبط، نجد شدة مقاومة للمسلمين لمخططات وسياسات الدمج، والباعث على هذه المقاومة هو خوف المواطنين المسلمين من الذوبان داخل مجتمعاتهم الجديدة، وحرصهم على التمسك بذاتيتهم الثقافية وخصوصيتها الإسلامية.

فهل هل هذا الخوف المفرط ليس له داع، إذا ما كان الاندماج و التعايش السلمي القائم على احترام الخصوصية، وجهان لعملة واحدة، أم أن سياسات الاندماج تبطن غير ما تظهره؟؟

استوجب على المسلمين أن يوضحوا المراد بالاندماج، عبر مؤسساتهم ومفكريهم وقياداتهم، ويبينوا الأهداف المرجوة منه؛ بتقديم الوجهة الصحيحة التي تتلقاها الجالية المسلمة بالاطمئنان والإقبال.

من هنا ظهرت محاولات لا بأس بها تتناول المسألة بجدية أكثر سواء على مستوى المنشورات، أو التصريحات أو الندوات والمحافل الثقافية..

و يمكن رصد نمطين أساسيين من الخطابات والرؤى الإسلامية:

الأول: "اتجاه تعايشي يسعى لتحقيق الاندماج ويحلل أسباب المشكلة ويطرح المشكلة والحلول "[2].

---

(١) مداخلة بعنوان: "التعايش الديني: مقتضياته الحضارية، ضوابطه الشرعية، تحدياته الراهنة"، قدمتها الدكتورة يعيش وسيلة حرم خزار، في ندوة الجالية المسلمة وسؤال الاندماج، بتاريخ ٢٢/ماي ٢٠١٢م بمراكش.

(٢) المجتمع المدني وإشكاليات اندماج العرب والمسلمين في بلاد المهجر د. هويدا عدلي، =/=

والثاني: "اتجاه راديكالي يسعى إلى تقويض القيم الأوربية لتحل محلها القيم الإسلامية"[١]. هذا التوجه الأخير هو من يساهم في انتشار الجيوب السكنية المعتزلة داخل المجتمعات الأوربية أو ما سمي بإسلام "الجيتو[٢]"، الذي يتضح في مختلف المجالات الدينية، والسلوكية، والتربوية، والتعليمية ..، مثل التوجه الانفصالي الذي يتبناه المعهد الإسلامي في إنجلترا، الذي أصدر في سنة ١٩٩٠ "البيان الإسلامي - استراتيجية من أجل البقاء"، "وهنا يصف -ضمناً- المسلمين في بريطانيا بأنهم نوع في خطر، مؤكداً أن المسلمين مجتمع مستقل ذاتياً، قادر على أن يحدد لنفسه أهدافه وأولوياته في علاقاته في بريطانيا .. ، والدعوة في بريطانيا إلى دخول الدين الإسلامي، وإنشاء مدارس إسلامية، وإمكانية إنشاء جامعة إسلامية"[٣].

وهذا لا يمثل رأي الأغلبية من المسلمين بل إن الاتجاه التعايشي السلمي هو من طغى على مختلف الأوساط الإسلامية، بما يميزه عن غيره من طابع الوسطية والاعتدال في التوجهات والأهداف .

أستاذ العلوم السياسية المركز القومي للبحث الاجتماعية والجنائية، ورقة مقدمة لندوة "الهجرة العربية الأفريقية إلى الخارج: مشكلات وحلول"، جامعة الدول العربية (إدارة المغتربين)، نوفمبر ١٨- ١٧/ ٢٠٠٨.

(١) المصدر نفسه.

(٢) تدل كلمة جيتو بمعناها العام على بيئة طبيعية تقيم فيها بالمدينة أقلية إسلامية، هو تعريف للدكتور زكي بدوي في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ١٧٨، وقد فصل الدكتور مصلح الصالح في تعريفه للجيتو قائلاً: "مجتمع محلي صغير منعزل، يكون في العادة متجانساً عنصرياً أو ثقافياً" الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٢٣٦، الطبعة الأولى.

(٣) نقلاً عن كتاب "الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة" ترجمة شوقي جلال، الطبعة الأولى، ص ١٠٦.

نذكر هنا على سبيل المثال بعض الرؤى الفردية والمؤسساتية التي تؤكد هذا التوجه القويم في التعامل مع هذه المسألة الجوهرية التي تحدد مسار الوجود الإسلامي في أوربا، وإن اختلفت المسميات فإن التوجه واحد، هو التوجه الوسطي الذي يرسخ للتعايش البناء، والغاية واحدة وهي تحقيق المواطنة الدائمة.

فعلى سبيل المثال قدم الشيخ يوسف القرضاوي: فكرة "التعاضد بين المسلمين" حتى تزداد قوتهم، ولكن ليس للانعزال بل للانفتاح الإيجابي على المجتمعات الغربية. وضرب المثال بالمجتمعات اليهودية التي حافظت على هويتها عبر تاريخ طويل بسبب تماسكها وتجمعها في الأحياء اليهودية.

ومن الدعاة أيضا نذكر الدكتور جمال المصري الذي اقترح مفهوم "الاندماج الذكي" بالنظر للحالة الكندية، بحيث يوفر هذا النموذج "منهجاً وسطاً يشجع المهاجر على الإبقاء على هويته فيما يخص شؤون الدين واللغة والثقافة والموروث، بينما ينخرط بشكل كامل في الساحة السياسية للدولة المستقبلة، مع تطوير الإسهامات الفردية والجماعية في المسائل العامة والخاصة بتحسين مستوى المعيشة والحياة بشكل أفضل، يتبع هذا النموذج الهجين الحكمة القائلة أنه على الأقلية أن تتكيف والدولة أن تتبنى"[1].

وهناك مقترحات أخرى يقدمها المفكرون للدلالة على الاندماج المتوازن، غير المشروط، لتفعيل الوجود المسلم في الديار الغربية.

---

(١) "الاختلاف الديني والاندماج" أ.د باكينام الشرقاوي جامعة القاهرة، ورقة مقدمة لندوة جامعة الدول العربية (إدارة المغتربين) بالتعاون مع برنامج الدراسات المصرية الإفريقية بجامعة القاهرة ص ٥.

وعموماً؛ فإن مفهوم الاندماج يبقى مثيراً للتفسيرات والتأويلات، مما أنشأ حالة من التفاوت في دلالات استعماله من مجال لآخر، ما دفع المؤسسات الإسلامية التي تناولت فكرة الاندماج إلى إلحاقه بوصف "الإيجابي"، بحيث أصبح "الاندماج الإيجابي" هدفاً من الأهداف التي يسترعيها طيف واسع من مؤسسات المسلمين، في القارة الأوربية، والتي تمثل بدورها التيار الرئيس في أوساطهم، من أبرزها موقف **اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا**[1]، الذي يدعو المسلمين إلى الاندماج الإيجابي في مجتمعاتهم، اندماجاً يقوم على التوازن بين الحفاظ على هويتهم الدينية ومقتضيات المواطنة، والتأكيد على احترام التعددية الدينية والثقافية، علماً أن الإسلام يقر مبدأ التنوع والاختلاف بين الناس، ولا يضيق بواقع التعددية القائم بينهم، بل يدعو إلى التعارف والتعاون والتكامل بين أبناء المجتمع.

فقد حدد الاتحاد في وثيقة تعريفية منشورة تعبر عن أسسه الفكرية البند التالي: "يشجع الاتحاد ويعمل على تحقيق الاندماج الإيجابي للمسلمين في المجتمعات الأوربية، اندماجاً يجمع بين الحفاظ على الهوية الإسلامية من جانب، وممارسة المواطنة الصالحة

---

(١) الاتحاد هو منظمة ثقافية، وجامعة إسلامية تنتظم فيها مئات من المنظمات، تتوزع على ٢٨ قطراً أوربياً، يجمعها الإيمان بمنهج الوسطية والاعتدال، الذي يمثل سماحة الإسلام. وقد تأسس الاتحاد عام ١٩٨٩ كنتيجة طبيعية لتطور العمل الإسلامي في أوربا، بغية تنظيمه وحمايته من التشرذم. واستطاع في فترة وجيزة أن يحقق العديد من الإنجازات، منها على سبيل الذكر: توحيد الخطاب السياسي، وتبني فكرة توطين الإسلام، ومن ثم الانتقال بالمسلمين من مجرد مهاجرين لا يملكون من أمرهم شيئا إلى مواطنين لهم من الحقوق ما لأهل البلد وعليهم من الواجبات ما عليهم، ويمثل الاتحاد اليوم بما يحمله من مبادئ تجسد البعد الإنساني في الإسلام، رصيداً لا يستهان به على الساحة الأوربية؛ ليصبح إضافة نوعية لهذه الحضارة.
انظر: موقع "اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا" Federation of Islamic organisations in Europe

من جانب آخر، خدمة للصالح العام، وتحقيقاً لمبادئ الأمن والانسجام"[1].

وهو ما أكده المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث[2]، على لسان الدكتور حسين محمد حلاوة[3]: "وإنما المقبول هو التدامج أي التعايش وهو ما يدعو إليه علماء المسلمين وقادة الفكر وكذلك هناك من غير المسلمين من يدعو إلى ذلك"[4].

فمصطلح الاندماج على ما يبدو صالح لتوظيفه للتعبير عن عملية التأقلم والتعايش مع ظروف المجتمع، مع مراعاة خصوصيات المندمج الأصلية، وتجنب الإسقاطات الضيقة والتأويلات المغرضة، وإلا صار المفهوم مبطناً بشتى الأفكار والحمولات الفكرية والسياسية والأيديولوجية، التي تحرف معناه الأصلي إلى معاني مغايرة، كالاحتواء والتبعية والإقصاء والذوبان.

(١) نقلاً عن سلسلة آفاق الأوربية: "مسألة الاندماج" رقم ١، إصدار اتحاد المنظمات الإسلامية، ص ١٤، الطبعة الأولى ٢٠١١.

(٢) نأتي على تعريفه في مبحث لاحق بعنوان ضمن التعريف بالمؤسسات الإسلامية في أوربا.

(٣) الأمين العام للمجلس الإسلامي الأوروبي للإفتاء والبحوث.

(٤) المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، مجموعة من الدارسين المتخصصين، العددان ١١ ـ١٢ تموز يوليو ٢٠٠٨م ـ رجب ١٤٢٩ هـ، ص ٣٠٨.

المبحث الثاني
الاعتـــزاز بالهـــوية

إذا كانـت نفـسية المـسلم المقـيم في الـديار الأوربيـة انهزاميـة، متخاذلـة، منبهـرة بحداثة الغرب، تنظر إليه على أنه صانع الحضارة، يمثل النموذج الأوحد الذي يجب على الكل تقليده في كل شيء. فإن هذه النفسية من شأنها أن تزعزع هوية المسلم الدينية و الثقافية، وتضعف ثقته في موروثه الحضاري ومخزونه القيمي، بل وتجعله منصهراً في قيم المادة والحداثة التي يروج لها الغرب. وهذا ما نبه عليه الشيخ حسين محمد حسين حلاوة في قوله: "نرى أنه حتى يتحقق الاندماج الإيجابي، لابد من توجيه المسلمين للحفاظ على الهوية، والاعتزاز بالدين، لأن في ذلك عصمة لهم من الذوبان والضياع، لقد قرأنا وسمعنا ولمسنا بأعيننا كيف يذوب المسلم ويندثر أصله، حين لا يحافظ على هويته.."[(١)].

لذا فإنه من المهم أن يحصن المسلم ذاته، بتمسكه بمقومات هويته الدينية وخصوصياته الثقافية والحضارية ..، وبما أن الدين هو المحدد الرئيس في تشكيل الهوية الشخصية والاجتماعية للأجيال المهاجرة، فإن على المسلم الاعتقاد الجازم بأنه الدين الحنيف الذي ارتضاه الله سبحانه دينا لعباده: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(٢)]، وهو الدين الخالد الباقي المتفرد بسلامته من التحريف، والتغيير والتبديل، الذي يعلو ولا يعلى عليه، وأي خلط في هذا المبدأ

(١) مجلة المجلس للإفتاء والبحوث، "قواعد الاندماج الإيجابي للمسلمين في أوربا" الشيخ حسين محمد حلاوة ص ١٦.

(٢) [آل عمران: ٨٥].

الثابت يؤدي إلى الخلل في عقيدة المسلم ويحدث غموضا وغبشا في المفاهيم.

ولا نغفل هنا ضرورة حرص المسلم على وسائل المحافظة على دينه وثقافته الإسلامية، مهما كانت الظروف والأماكن والأحوال، ولعل أهم مقوم للحفاظ على الهوية الإسلامية: اللغة العربية؛ لغة الرسالة الحية الخالدة، فهي اللغة التي يتعبد بها المسلمون حيث كانوا على اختلاف أوطانهم وأجناسهم، وهي التي استوعبت مختلف المعارف الإنسانية والمنجزات الحضارية، لذا يتوجب العناية بها، لأنها أداة ترسخ الفهم الصحيح للدين، وذلك بالرفع من المستوى اللغوي لدى جاليتنا المسلمة هناك، فمن دون اللغة العربية لن نستطيع فهم الدين على حقيقته مهما حاولنا الاقتراب من المعاني.

فالمسلم في أوربا يعتز بدينه، ويحتفي بانتمائه للأمة وللحضارة الإسلامية، التي تزهو بتاريخها المليء بالمحطات المشرقة، للاستفادة منها وأخذ العبرة من نقاطها السوداء، وما يتبع ذلك من حب لوطنه الأصلي، والاهتمام بقضاياه، ورعاية مصالحه وشؤونه.

وكل ذلك في إطار تعزيز ثقة المسلم في انتمائه الديني والحضاري والثقافي، حتى لا يكون مصيره الانحلال والذوبان أمام التيارات الغربية.

كما أن المسلم لا يقف موقف المدافع فقط، بل يدعو إلى الرسالة العالمية الخاتمة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2]، حتى لا يستأثر المسلم بدعوة الحق، بل يسعى لتعميم الخير على العالم أجمع.

---

(١) [فصلت: ٣٣].

(٢) [آل عمران: ١٠٤].

والتأكيد في هذا المقام على التشبث بالهوية الإسلامية، لا يعني أبداً الانطواء والانكفاء على الذات، بل العكس من ذلك تماماً، فكما أن المسلمين مطالبون بالتمسك بمقومات هويتهم هم مكلفون أيضا بالاندماج والتأقلم في المجتمع، وذلك بأن تكون له القابلية والاستعداد للتعايش السلمي البناء، "من دون أن يكون هذا الاستعداد تفريطاً في خاصية من هويتهم، أو تخلياً عن معتقداتهم، أو تنازلاً عن حق من حقوقهم، وإنما هو تعايش يخدم أغراضا إنسانية سامية، من خلال التفاهم والتعاون، والعمل المشترك في الميادين التي تخدم تلك الأغراض"[1].

لأن المسلم هو من يرسم معالم حياته، ليعيش حياة متناسقة من الصغر إلى الكبر، تتناغم فيها خصائص هويته، مع ظروف بلد الإقامة، وهذا لا بد فيه من بذل جهد عظيم لتحقيقه.

(١) "الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين" عبد العزيز بن عثمان التويجري ص ٢٣ ـ ٣٤، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.

المبحث الثالث
الوقوف على حقوق المواطنة وواجباتها

انتقل الوجود الإسلامي في أوربا من حالة الاستقرار المؤقت، إلى حالة الإقامة والمواطنة الدائمة، فأصبح المسلم -باسم القانون- له الحق في سائر حقوق المواطنة، كما أن عليه ما على المواطنين من واجبات ومسؤوليات يؤديها اتجاه مجتمعه الذي يعيش فيه واتجاه أفراده، للالتزام بالقوانين المنظمة لعلاقات المواطنة في الدولة المقيم بها.

ومن أهم قواعد الاندماج الفعال داخل المجتمع الأوربي أن يعرف الفرد المسلم ما عليه من واجبات وما له من حقوق، وأن يدرك بأنها "ليست منحة من أحد لأحد وإنما هي توجيهات ربانية وأوامر إلهية جاء بها الأنبياء صلوات الله عليهم، كما أنها وفق مواثيق وعهود دولية أقرتها منظمة الأمم المتحدة وهيئات حقوق الإنسان الدولية"[(١)].

وأهم هذه الحريات والحقوق حرية التدين والاعتقاد احتراماً لكرامة الإنسان، فقد أكدت المادة العاشرة من الإعلان الرسمي لميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوروبي[(٢)] هذا الحق التي تنص على أن: "كل شخص له الحق في حرية الفكر والضمير والديانة، ويشمل هذا الحق الحرية في تغيير الديانة أو العقيدة، وحرية إعلان الديانة والتعبد والتعليم والممارسة وإقامة الشعائر، إما مفردة، أو بالاجتماع مع الآخرين، وإما بشكل علني أو بشكل سري".

---

(١) مجلة المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، "قواعد الاندماج الإيجابي للمسلمين في أوربا" الشيخ حسين محمد حلاوة ص ٣٠٩.

(٢) حرر في نيس في السابع من ديسمبر ٢٠٠٠م، عن البرلمان الأوربي، مجلس الاتحاد الأوربي عن اللجنة الأوربية، نقلاً عن ملحق مجلة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ص ٤٦٨.

وما يستتبعها من حقوق المواطنة الأخرى كالحق في الحرية والأمن والتعليم، وحق اختيار مهنة والارتباط بعمل في ظروف عادلة، والحق في الملكية، والحق في التصويت والترشيح في الانتخابات البلدية، وانتخابات البرلمان الأوربي، وكذا الحق في الضمان الاجتماعي والمساعدة الاجتماعية ...إلخ.

كلها حقوق كفلها القانون الأوربي لتكون من حق أي شخص مقيم في أوربا، يجب على المسلم معرفتها حتى يتمتع بها بمنهج قويم، منسجم مع الشرع الحكيم.

وموازاة مع ذلك فإن المسلم مكلف بالالتزام بما عليه من مسؤوليات، وأدائها على أكمل وجه.

وهذا الاحترام للقانون لا يعني أبداً الموافقة على كل جزئياته .. ، وإنما هو احترام للأسس المنظمة لهذا البلد، حتى يكون بلد أمن وسلام.

وهو سلوك يمكن أن يتماشى مع الإسلام لأن مبدأ احترام العقود من أهم المبادئ والقيم التي حث عليها الإسلام، حفاظاً على الصالح العام؛ إذ إن المسلم "عندما يدخل إلى بلد أوربي فهو يدخل معه في عهد أمان يلزمه باحترام قوانين البلد، فهم ملزم - بمقتضى الإسلام - بالإيفاء بعهده ووعده، واحترام والتزام القوانين المنظمة له"[1] لقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2]، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

---

(١) انظر كتاب: "الجاليات الإسلامية في أوربا الغربية، مشكلات التأقلم والاندماج" بحث المسلمين في أوربا الغربية وسائل تطوير الدعوة الإسلامية فيها والاندماج في المجتمع الأوربي، إعداد عبدالله عبدالرحمن الخطيب ص ٤٦.٤٧، الطبعة الأولى.

(٢) [النحل: ٩١].

(٣) [الإسراء: ٣٤].

بالنظر للآيتين الكريمتين، فإننا نستشعر في مجال الحقوق والواجبات، جسامة مسؤولية الوفاء بالعهود والمواثيق أمام الله سبحانه وتعالى، وضرورة تحقيق العدل وإقامة الموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص، ومن عموم المعنى نعي أهمية حسن المعاملة بالقول والفعل.

المبحث الرابع
الانفتاح والتفاعل وعدم العزلة

المجتمع الغربي يشجع نموذج الذوبان في عملية إدماج الأجيال المهاجرة، وقد يصل إلى درجة ما سمي "بالموت من أجل التوافق"، في المقابل نجد نموذجاً معاكساً، يتمثل في موقف الانعزال والانطواء على النفس؛ حفاظاً على مقتضيات الهوية الدينية والثقافية، فيكون هذا سبباً في مزيد من الإقصاء، وظهور الجيوب السكنية الهامشية.

الأجيال المغتربة اليوم لا يمكن تركها في حالة من العزلة، كما لا يمكن تركها في حالة من التشتت والانحلال أمام التيارات التي تهدف إلى الاستلاب الفكري الذي يهدد عقيدتها، بدعوة أن هذه الأجيال تعيش في ظروف خاصة، تعيق مسيرتها الطبيعية، ولا خيار لها غير الذوبان والاندماج غير المشروط.

والوضع السليم هو أن: "يتواصل الوجود الإسلامي مع الواقع هناك، ويسجل لنفسه الحضور الإيجابي والحضاري ويبرز ما عنده من فاعلية وأطروحات تحتاجها الحياة هناك، بحيث يصل بقناعات تلك المجتمعات إلى الحاجة لهذا الوجود وضرورته الحيوية والتكامل معه، مع احتفاظ الوجود الإسلامي بخصوصياته"[(١)].

إذ أن الوجود الإسلامي بالغرب قطع أشواطاً عديدة في مسيرته هناك؛ بدءاً من الوعي والاستيقاظ والشعور بالهوية، وإعادة البناء والتجمع النسبي إلى أن غدا اليوم مرحلة جد دقيقة، تحتاج منه بذل مجهود أكبر والتركيز على مستويات رفيعة، هي مرحلة يصفها الشيخ الدكتور القرضاوي قائلاً: "ونحن الآن في مرحلة التفاعل الايجابي

(١) كتاب "الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل" زكي ميلاد، تركي علي الربيعو، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر، لبنان ـ بيروت، دار الفكر، دمشق، ص ١١٧.

مع المجتمع فلا مجال في هذه المرحلة للعزلة والانكفاء على الذات والحذر من مواجهة الآخرين فقد غدت الأقليات المسلمة واقفة على أرض صلبة واثقة من نفسها معتزة بذاتها قادرة على التعبير عن هويتها والدفاع عن كينونتها وأبرز خصائصها وتقديم ما عندها من رسالة حضارية للبشرية"[1].

إذ إن أكبر تحد يواجهه المسلم في تلك الديار هو: كيف يعيش بسلام وطمأنينة مع نفسه أولا ومع غيره في مجتمع تتباين فيه مستويات التدين، المليء بإغراءات الحضارة الغربية.

مبدأ الإنسانية من أولى القيم التي تمكن من التفاعل مع المجتمع، والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى العزلة، والاغتراب النفسي، والانكفاء على الذات، والمحافظة على التميز الديني والأخلاقي، إضافة إلى المشاركة المكثفة في الحوارات السياسية والمجتمعية، وتطوير الموارد الذاتية، والمساهمة بفعالية في الإنتاج المحلي، والعمل على تطوير الكفاءات والمهارات الضرورية .. ، بذلك يحقق المسلم الأوروبي اندماجاً إيجابياً في المجتمع الأوروبي، يشجع على وصوله للمواطنة الحقيقية، ويحقق كذلك تلاقحاً فكرياً وثقافياً فريداً من نوعه لأن عالمية الإسلام لم تأتِ لتنميط الثقافة في كل مكان، بل هي تدعونا باسم عالمية مبادئها إلى تقبل تنوع الثقافات والحضارات، لتحصيل كل ما فيه خير للبشرية جمعاء.

---

(١) فقه الأقليات المسلمة، الشيخ يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الشروق، القاهرة، ص٢٣.

المبحث الخامس
الإيمان بسنة الاختلاف

اختلاف الناس سنة من سنن الله في خلقه لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]، فالإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوّع، وليس على التماثل والتطابق؛ ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الخالق سبحانه، ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

لذا فإنه يجب التحلي بمبدأ التصالح واحترام الآخر والاعتراف بمفهوم التعددية والاختلاف والتنوع على مستوى العرق و اللون و الدين واللغة .. وغيرها من الفوارق الطبيعية والانتماءات والمعتقدات، فقبول الآخر والعيش المشترك معه في ظل مجتمع واحد، أصبح ضرورة حتمية لتحقيق التعايش السلمي البناء، واندماج كافة الأفراد داخل الكيان المجتمعي.

فعلى المسلم استثمار هذا التنوع، واستيعاب الاختلاف لكل ما فيه خير و صلاح، وذلك باحترام حرية الاختيار، واحترام مبدأ الاختلاف في الرأي، واحترام التعددية الثقافية والدينية والاهتمام العالي بالعلوم الإنسانية على اختلافها، وامتلاك ثقافة الحوار، وإتقان فنون الجدل والعرض والبياسن، والتكافؤ مع ثقافة الآخر وقدراته،

---

(١) [هود: ١١٨- ١١٩].

(٢) [الروم: ٢٢].

والاستفادة منها ما أمكن، والبعد عن الفوقية وروح الغلبة والانتصار، واستبعاد نزعة الإكراه، وإكرام الآخر واحترام خصوصياته، على أساس من التعاون والتضامن، فقد أوجب القرآن على المسلمين الإيمان بكل الأنبياء والرسل السابقين بحيث لا يتم الإيمان إلا بها، ولا ينجو العبد في الآخرة بدونها، فالمعاملات الإسلامية تؤسس للتعددية في ضمير المسلم بحيث تجعل علاقته بالآخر قائمة على التعارف والعدل والإنصاف الواجب والبر والإكرام لقوله سبحانه: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

فمبدأ احترام الآخر، مبدأ راسخ في الدين الإسلامي، يجب على الجالية المسلمة هناك أن تمثل هذه الخلق الرفيع أحسن تمثيل، فيتجسد في أخلاقها وسلوكها وخطابها..، بل وفي كل لحظة حركة وسكينة تعيشها في تلك المجتمعات؛ لأنها تحمل مهمة الدعوة إلى الرسالة العالمية الخالدة.

(١) [الممتحنة: ٨].

المبحث السادس
ثقافــة الحــوار

الحوار لغة هو: "الرجوع إلى الشيء وعنه .. والمحاورة: مراجعة الكلام" حاورت فلانا وأحرت إليه جواباً. والمحور: مرجوع الجواب.."[(١)].

فالتحاور إذاً هو نوع من التجاوب و التشاور والتفاعل المبني على تبادل الأفكار والآراء والمعلومات، والقدرة على التكيف مع أفكار المخالف، والتعامل مع جميع الآراء والمواقف، بغض النظر عن الفوارق الاجتماعية، والانتماءات العقدية، والتيارات الفكرية السوية..

وارتباط الحوار بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، "يُثبت في الضمير الإنساني فضيلة الاعتراف بالخطأ، ويركز على قيمة عظمى من قيم الحياة الإنسانية، وهي القبول بمبدأ المراجعة، بالمفهوم الحضاري الواسع الذي يتجاوز الرجوع عن الخطأ، إلى مراجعة الموقف برمته، وصولا إلى جلاء الحق "[(٢)].

وأي تفاعل بين أهل الحضارات و الثقافات والأديان، إن على المستوى الداخلي أو الخارجي في المجتمع، لا يتم إلا بالحوار الهادف البناء، المؤطر بسياج من الاحترام المتبادل بالمعنى الأخلاقي الرفيع، والمعنى الحضاري السامي، وذلك أثناء التعارف وتبادل المعارف والخبرات، لقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[(٣)]، فيتم التجاوب والتفاعل

(١) "المحيط في اللغة" الصاحب بن عباد، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، المجلد الثالث، ص ٢٠٠.

(٢) "الحوار من أجل التعايش" عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص ١٣.

(٣) [الحجرات: ١٣].

بينهم ومن ثم التعاون، بما يحققه كل فرد حسب منصبه الاجتماعي، ومستواه الفكري والثقافي والعقدي ..، بنوع من التكامل بين الأفراد، لتندمج كل شرائح المجتمع في وحدة منسجمة ومتناسقة المجالات.

فالمحاورة الهادفة والدائمة مع غير المسلمين، تمثل إذاً: السبيل لبناء العلاقات معهم أيا كانت إن على مستوى الأفراد أو المؤسسات، وهي السبيل للوصول إلى الحق وبيان الباطل، وتبادل المعارف والعلوم التي نحن بأمس الحاجة إليها خاصة الدقيقة منها.

وهذا يتحقق إن تأدب المسلم -حيثما وجد- بأخلاق الإسلام، وتأسى بسيرة رسول الله ﷺ، وسيرة صحابته الكرام في الحوار، عند مخاطبة الناس من منطلق الإيمان بوحدة النوع الإنساني أولاً، لقوله ﷺ: (كلكم لآدم وآدم من تراب) [1]، والمجادلة بالتي هي أحسن ثانياً، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[3]، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾[4]، فبالعقل والحوار الهادئ، تصل البشرية جمعاء إلى الغاية السامية من أمن وسلام في المجتمعات.

---

(١) الجامع الصغير، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم ٦٣٦٨، خلاصة حكم المحدث: (حديث حسن).

(٢) [العنكبوت: ٤٦].

(٣) [النحل: ١٢٥].

(٤) [آل عمران: ٦٤].

وحتى يسير الحوار في الطريق الصحيح؛ لا بد من تحديد الأهداف الرسمية المتفق عليها، مسبقاً على أمل تحققها، ولعل أهم هذه الأهداف الاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي كديانة رسمية للجالية المسلمة هناك، واحترامها عقيدة وشريعة، وعدم المساس بمقدساتها، في الغرب بمؤسساته وكافة هيئاته، إذ ليس من الحوار في شيء أن نتنازل عن مقومات عقيدتنا ومستلزمات ديننا، لأن الإسلام هو دين: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]، لإقامة حوار ندي متكافئ يقوم على الحجة وتوسيع دائرة التفاهم والتقارب، من أجل الوصول إلى قناعات معينة وإطارات مشتركة من المطالب الإسلامية الحيوية، بأفضل السبل والوسائل كبحث سبل السلام العالمي وآفاق التعاون لتحقيقه، وإدانة أعمال العنف والإرهاب، ورفض ربطها بأي دين معين وخاصة الدين الإسلامي، الذي يدعو للسلم والأمان؛ لسد الطريق أمام دعوات الترويع والتخويف من الإسلام.

(١) [النمل: ٦٤].

المبحث السابع
الوفاء بالعهود والمواثيق

حينما يدخل المسلم إلى بلد من البلدان الغربية بأمان[١] فإنه يكون قد صار مستأمناً بمقتضى عهد، أقام بموجبه في ديارهم.

وقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهود والمواثيق تأكيداً شديداً، فمن صفات المؤمن الصادق أنه إذا وعد أوفى، وإذا عاهد صدق، وبالمقابل فإن المنافق إذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر. وذلك جلي بيّن في العديد من النصوص الشريفة من القرآن والسنة، في مثل قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾[٢] فهو أمر من الله تعالى لعامة المؤمنين بالوفاء بالعقود، وذلك بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها.

وقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ ﴾[٣].

وقوله ﷺ في نعت المنافق: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)[٤].

---

(١) بأن يدخل مثلاً بتأشيرة قانونية، أو لاجئاً سياسياً .. وغيرها من أشكال الهجرة التي تعترف بها القوانين الأوربية.

(٢) [المائدة: ١].

(٣) [التوبة: ٤].

(٤) رواه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص، ج١، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ص ١٧، رقم ٣٤.

فهي نصوص تحث صراحة على الوفاء بالعهود، وذلك لأن للعهد حرمة، وللخيانة والغدر عقوبة ومعرة، والإسلام حريص على أن يكون المسلمون شرفاء في عهدهم إذا عاهدوا.

لأنه بالاستئمان ضمن لهم أن لا يتعرض لهم بسوء فإن فعل فهو غدر والغدر غير جائز في ديننا الحنيف، وذلك لأن الإسلام يحافظ على السلام وينادي به، ويكفل للمعاهدين الأمن والطمأنينة.

الفصل الثاني
عوائـق الاندمـاج
المبحث الأول
سياسات الاندماج

مثلت أحداث ١١ سبتمبر، وما تلاها في لندن، وباريس، من أحداث عنف ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، والتي تورط فيها شباب من المسلمين؛ جزء منهم من الجيل الثاني والثالث، أي شباب ولدوا وتربوا في أوروبا بمثابة علامة فارقة، إذ كشفت الغطاء عن حالة الاغتراب والتمييز الذي يعاني منها المسلمون في الغرب. فبدأ الربط بين التدين المتنامي والاتجاه الراديكالي، هذا أثار انتباه الدول الأوروبية بشدة، فدفعها ذلك لبذل جهود كبيرة لدمج المسلمين في مجتمعاتها، من خلال مجموعة من الإجراءات والتدابير، مثل قوانين المواطنة والتعليم ومعاملة المؤسسات الدينية، وإجراءات مناهضة التمييز، مع تفاوت وتباين بين السياسات المتبعة من دولة لأخرى فكان التخطيط لسياسات الاندماج من بين الأولويات ...، لدمج المواطنين الجدد وبخاصة المسلمين في النظام القائم، بثقافته واختياراته وتوجهاته.

نحاول هنا رصد أهم ملامح سياسات الاندماج في أوربا من خلال ما وجد بين أيدينا من معطيات.

سياسة الاندماج، التي نهجتها البلدان الأوروبية المستقطبة للمهاجرين، لإدماج المسلمين والأجانب عامة داخل مجتمعاتها، لانخراطهم في الحياة العامة بشكل منفتح، أضحت تعادل حلماً يراودها، ما دامت ترى في تنفيذ تلك السياسات وتحقيق أهدافها المبرمجة، حلاً سحرياً لجملة من الإشكالات؛ إلا أن هذه السياسة التي تبدو وكأنها

سوف تجلب النفع والخير العميم للجميع؛ سلطةً وشعباً، أصليين وأجانب، قوبلت بالرفض أو التحفظ من قبل العديد من المسلمين، سواء كانوا مثقفين أم عاميين، لأنها تُخفي غير ما تعلن، فهي تنبني على أسلوب الاحتواء الذي يسعى إلى تذويب المسلمين في إطار الثقافة الغربية، فيؤدي ذلك إلى بلْع هوية الآخر وخصوصياته الدينية والحضارية.

هذه هي أبرز معالم سياسة الاستيعاب والاحتواء، الهادفة إلى: "التشرذم والانفصال" عن الإسلام، ويعني إفراغ العقيدة من محتواها الحقيقي والعمل على "استئصالها تدريجيا" وهذا هو التحدي الذي يواجهه مسلمو فرنسا اليوم"[1]، فهي – حقاً – تمثل اهتمام الغرب بالمسلمين المهاجرين ومدى الإحساس بحضورهم القوي والرغبة في إدماجهم في سياق التعايش الحضاري والاجتماعي بين مختلف الأجناس والأديان، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن "الدعوة إلى استيعاب واحتواء المسلمين لم تصدر إلا عن الدول التي تعاني وتتضايق من النسبة العالية من المسلمين الموجودين فوق أرضها"[2].

وعليه؛ فإن أغراض السياسات الغربية الحديثة في هذا الشأن لها ما يبررها، فهي أغراض غير نزيهة لا تهدف إلى الاهتمام بمصالح المسلمين كما يُتَوهم، بقدر ما ترمي إلى إذابة العنصر الإسلامي في ثقافة البلد المضيف.

وقد تبلورت الدعوة إلى الاندماج في عدة بلدان غربية مثل فرنسا وايطاليا وألمانيا وهولندا وإسبانيا وغيرها، من دعاوى أطلقها رؤساء ووزراء في تلك الدول للخروج لما وُصِف بأنه إسلام أوروبي (فرنسي أو إيطالي أو هولندي .. إلخ، حسب البلد) يختلف

(١) "الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة" جراهام إي. فوللر. إيان أو. ليسر، ترجمة شوقي جلال، القاهرة مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، ١٩٩٦م، ص ١٠٦.

(٢) كتاب "الإسلام والغرب: قضايا ومواقف" د. حسن عزوزي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٦٥.

عن الإسلام التقليدي أو الأصلي السائد في البلدان الإسلامية.

وجَرى التعبير أحياناً عن سياسات الاندماج بأسماء متعددة منها التكييف، والاحتواء، والتعديل، والمراجعة، والتغيير إلى التحديث والتطوير والعصرنة. وغيرها من المفاهيم التي طغت على الساحة الثقافية والسياسية والتربوية التي تهدف إلى إدماج المسلمين باعتباره حلاً وحيداً للمشاكل والمعوقات في هذا المسار، حتى وجد المسلمون أنفسهم أمام اندماج قسري وهذا الإدماج لا بديل له إلا الإقصاء والنفي، حتى إنه رفع في بعض الدول الأوربية شعار:

(اندمـــج أو ارحـل!)

فكانت هذه الأبعاد هي الطابع الغالب على سياسات الاندماج المتبعة في أوربا، وحتى نكون منصفين لبعض السياسات المتوازنة في هذا المجال، يمكن القول، إن سياسات الاندماج في أوربا لا تحيد عن "اتجاهين رئيسيين متمايزين، كثيراً ما يكونا متناقضين: فالأول يعتبر أن الاندماج الثقافي يعنى إذابة المهاجر كلياً في المجتمع المضيف، بينما يقبل الاتجاه الثاني احتمال أن يحتفظ المهاجر بهويته الثقافية الذاتية في إطار نموذج التعددية الثقافية acculturation "[1].

لكن توجه التعددية الثقافية بدا ضعيفاً أمام سياسات الاستيعاب الكامل، وبزغ على السطح جدال حول طبيعة برامج الاندماج ونمط إجراءاتها المتبعة.

وقد عبر الاتحاد الأوربي عن التوجه الذي يتبناه إزاء مسألة الاندماج من خلال الإعلان عن ١١ مبدأ أساسي حاكم لسياسة دمج المهاجرين ٢٠٠٤م، وليس المسلمين فقط بل الأجانب بشكل عام، أو ما "يطلق عليه:

---

(١) "الاختلاف الديني والاندماج" أ.د باكينام الشرقاوي جامعة القاهرة، ورقة مقدمة لندوة جامعة الدول العربية (إدارة المغتربين) بالتعاون مع برنامج الدراسات المصرية الإفريقية بجامعة القاهرة، ص ٣ ـ ٤.

COMMON BASIC PRINCIPALE [CBPS]، تؤكد هذه المبادئ المشتركة على أن عملية الاندماج تسير في اتجاهين: التكييف والتوافق المتبادل بين المهاجرين والدول المضيفة واحترام القيم الأساسية للإتحاد الأوربي كما أنه لابد من إشراك المهاجرين في تصميم سياسة الاندماج وتنفيذها "[1].

وقد فضل العديد من المسلمين التقوقع على نفسه والانطواء والعزلة بدلاً من الذوبان والانصهار في المجتمع، فتكونت جماعات مسلمة موازية، بعيدة عن ثقافة البلد المضيف..

فقيل في حقهم: المسلمون ليسوا جادين في طلب الاندماج؛ لأنهم يستفيدون من حقوق المواطنة في نفس الوقت الذي يحافظون فيه على خصوصياتهم الثقافية...

ختاماً، فإنه بالنظر إلى الخطاب السياسي الغربي للجاليات المسلمة هناك، يمكن القول إن سياسة الاندماج التي تفرضها بعض الحكومات الأوروبية والغربية، ليست هي الأنموذج الأوحد الذي يمكن بواسطته إشراك المسلمين في المنظومة الاجتماعية والثقافية الغربية العامة، وذلك لأنها تنطلق من تصورها الفردي الأحادي الجانب، من غير إشراك أو تشاور مع ممثلي المسلمين ومثقفيهم، مع أنهم الأعلم بظروفهم وخصوصياتهم..

وبالنظر إلى الأهداف فهي تبدو ذات أبعاد إيجابية تخدم الجميع، لكن الواقع يكشف زيف مخططاتها، وهذا ما لامسته الجالية في الواقع، وأدركت أن الهدف هو تذويب الخصوصيات المختلفة في بوتقة المجتمع الواحد، فكان من الطبيعي أن ينظر المسلمون لهذه السياسات بتربص ووجل.

(١) ورقة مقدمة لندوة: الهجرة العربية الإفريقية إلى الخارج- مشكلات وحلول، د هويدا عدلي.

المبحث الثاني
العداء وتشويه صورة الإسلام والمسلمين

الهجوم على الإسلام، واتهام المسلمين بكل نقيصة؛ أصبح لدى الكثيرين من الغربيين في العصر الحاضر من أهم مهماتهم، ونعت الإسلام بدين العدوان والعنف واتهام المسلمين بالتطرف والإرهاب، وإظهارهم على أنهم أعداء للحضارة والديمقراطية، وإظهار الحضارة الغربية النموذج الأوحد، يجب على الجميع الانبهار به واتباعه.

وهذا ما بدا واضحاً في عديد من التصريحات، وفي عشرات الآلاف من الكتب والدراسات والمقالات المشحونة بالافتراءات الملصقة بدين الإسلام والمسلمين بالانجليزية والفرنسية والألمانية، بل واللغة اللاتينية القديمة ترجع إلى قرون سابقة، وفي هذه الكتب والمقالات تشويه متعمد للدين الإسلامي.

هذا الاتجاه العدائي للإسلام ليس نتيجة أحداث الحاضر أو نتيجة ظروف طارئة، ولكنه نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في الخيال الغربي، يطول الحديث عنها، لأن جذور العداء ترجع إلى الحروب الصليبية، وقبل الحروب الصليبية عندما فتح المسلمون الأندلس (إسبانيا) وفتح العثمانيون بعد ذلك القسطنطينية ووصلوا إلى النمسا وحاصروا فيينا العاصمة.

فما تزال مخلفات هذه الذاكرة حاضرة بقوة في الغرب، لذا برز الخوف من الكيان الإسلامي على المجتمعات الأوربية، ومن ثم العداء لكل ما يمثل هذا الكيان على أراضيها، فنجم عن ذلك ازدراء مصحوب بالمركزية –الإثنية– وصور مشوهة عن الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية، إذ يقع "التعميم من تصرفات القلة إلى تصرفات الكثرة، وتجاهل تجاوزات مشابهة مرتكبة باسم أديان وأيديولوجيات أخرى بما فيها

(الحرية والديمقراطية) ليس جديداً أيضا"[1] ، ومن ثم الحكم على الإسلام بالعنف والتطرف والإرهاب، والوثنية والنبوة الملفقة.

مما جعل العلماء يقلعون عن الدراسة الجدية لإسهامات الإسلام في الفكر الغربي.

لأن الإسلام هو المعتدي والمذنب دائماً، فقد وضع "الإسلام وتصرفات المسلمين في المرتبة الأولى من حيث المسؤولية عن الهجمات والجهاد والفتوحات، بينما يصف موقف الغرب على أنه دفاعي، يرد بهجمات معاكسة وحروب صليبية وفتوحات معاكسة"[2].

فمثل هذه النظرة السوداوية عن المسلمين في تلك الديار تُأزم وضعية الأجيال المسلمة في أوربا، وتجعلهم عرضة للتمييز والتهميش، ما يعرقل مسيرتها في التأقلم والاندماج الفعال داخل المجتمعات الأوربية.

لذا فإن حل الأزمة، بيد علماء الإسلام من المفكرين المعاصرين ليعرفوا حقائق الإسلام، لدحض الأباطيل، ومحو معالم الصورة المشوهة؛ التي كونها الآخر عن الإسلام والمسلمين، وذلك بالوسائل العصرية المتاحة اليوم، سواء بالكتابة والنشر بمختلف اللغات الأجنبية، أو بتنظيم المحاضرات والندوات التي يجب أن تكون في عقر البلدان الأجنبية، أو بتنظيم حوارات مع المتطلعين لمعرفة حقيقة الإسلام أو بعرض أفلام وتسجيل "أشرطة" تشرح مبادئ الإسلام، وتوضح جانب الصواب من تلك الشبهات والافتراءات؛ حتى يساهم هذا الوجود الإسلامي أولاً، في تقديم رؤية حضارية لعلاقات الإسلام بالغرب، وثانياً في إزالة التشوهات المصطنعة.

---

(١) كتاب "الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع" جون اسبيزيتو، ترجمة هيثم فرحات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

المبحث الثالث
الإسلامفوبيا

"الإسلامفوبيا" أو "الخوف من الإسلام"، مهما اختلفت المسميات، كلها مصطلحات تنبئ عن الشكل الأكثر خطورة للعنصرية في أوروبا. مما يشير إلى الإجحاف والتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، وتخويف غير المسلم من هذا الدين ومعتنقيه.

التعريف:

يجمع الدارسون على أنها من المصطلحات الحديثة التداول نسبياً في الفضاء المعرفي ولكنها ازدادت وضوحاً وتطرفاً وخطورة في السنوات العشرين الأخيرة.

فهي الخوف المفرط اللاشعوري وغير المبرر من الإسلام والرفض العشوائي له.

فقد تم نحت هذا المصطلح الذي استعير في جزء من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الإرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام، لينتشر بشكل كبير، في كافة قطاعات المجتمع، ليصبح مصطلحاً إعلامياً بامتياز.

والظاهر أن هذا التوصيف للمصطلح يقع في تماس بالغ مع مفهوم "التحامل على الإسلام".

مسلمات نمطية:

تقوم بنية هذا المصطلح على مسلمات نمطية افتراضية، من أبرزها:

ما أكدته مؤسسة The Runnymede Trust، غير الحكومية، في أول محاولة جادة لتقعيد المصطلح سنة ١٩٩٧م، حيث ربطت المفهوم وضبطته وفق ثمانية معايير محددة.

١- اعتبار الإسلام جسماً أحادياً جامداً قلما يتأثر بالتغيير.

٢ - اعتبار الإسلام متميزاً (منفصلاً) و"آخر" ليس له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى وهو لا يتأثر بها أو يؤثر فيها..

٣- اعتبار الإسلام دونياً بالنسبة للغرب.. بربرياً وغير عقلاني، بدائياً وجنسي النزعة.

٤- اعتبار الإسلام عنيفاً وعدوانياً ومصدر خطر، مفطوراً على الإرهاب والصدام بين الحضارات..

٥ - اعتبار الإسلام أيديولوجية سياسية لتحقيق مصالح سياسية وعسكرية..

٦- الرفض التام لأي نقد يقدم من طرف إسلامي للغرب..

٧- استعمال العداء تجاه الإسلام لتبرير ممارسات تمييزية تجاه المسلمين وإبعادهم عن المجتمع المهيمن..

٨- اعتبار العداء تجاه المسلمين عادياً وطبيعياً .."[1].

فنلاحظ ارتباط المصطلح بقوالب وأحكام مسبقة جاهزة، مجحفة لأقصى الحدود في حق الإسلام والمسلمين: كالعنف والصدام والعدوانية والخطر والإرهاب..

فكأن هذه القوالب محسوم أمرها، لا مجال لإعادة النظر فيها!

تنامي الظاهرة :

أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إلى الانتشار الواسع لهذا المصطلح، إذ تَعَاظَمَ القلق الأوروبي من الوجود الإسلامي وأصبح ينظر إليه على أنه مصدر لتنازع المصالح والخطر على أمنه القومي وقد ينقلب في يوم من الأيام إلى صراع ديني وعرقي.

---

(١) انظر: مقال "الإسلامفوبيا وسياقاتها المعرفية" محمد حلمي عبد الوهاب، الأحد ٣٠ مارس ٢٠٠٨م، موقع onislam .net (أون إسلام. نت).

فاحتدت مظاهر العداء مؤخراً، وكثيراً ما اتخذت شكلاً قانونياً..، فكل حادثة هجوم ضد الإسلام ورسوله العظيم؛ تنبئ عن التنامي المتصاعد للإسلاموفوبيا، التي غدت سلاحا ناجعاً للعديد من التيارات السياسية، إذ إن معظم منظمات حقوق الإنسان ومناهضة العنصرية تلاحظ أن التوظيف السياسي للإسلاموفوبيا سلعة رائجة ومربحة في سوق النخاسة السياسية الأوروبي؛ وبالتالي تركز على قيام ترسانة قانونية تحمي المسلمين من أشكال التمييز والاعتداء اليومية بحقهم.

وقد صرح "محمد شعبي" - رئيس "رابطة مسلمي فرنسا"- بأن "الإسلاموفوبيا أضحت ظاهرة معترفاً بحقيقتها، وهي في تنامٍ مستمر، الأمر الذي دفع المناهضين لمظاهر العداء للإسلام والمسلمين إلى التفكير في حشد الدعم للمطالبة بسنّ قوانين تحظر هذه المظاهر وتحاربها على غرار القوانين التي شرعت لمعاقبة المعادين للسامية"[(١)].

بعد هذه اللمحة الموجزة عن الإسلامفوبيا ومسيرتها، يجب التأكيد على ضرورة عدم الانسياق وراء هاجس "الإسلاموفوبيا"، والعدول عن الاعتقاد بأنها عائق في وجه جاليتنا المسلمة بالخصوص، بل يجب دحض تلك التصورات المغرضة الجاهزة، وذلك بأن يتحمل المسلمون هناك كافة مسؤولياتهم، ويطوروا حججهم الواضحة، وينغمسوا في الحوارات المصيرية، وعليهم رفض كل رؤية أحادية عن "نحن/ هم"، ودعم القيم المشتركة النابعة من العدالة والمساواة والحرية والاحترام باسم "الأخلاقيات المشتركة".

(١) مقال "الإسلامفوبيا تتقدم في أوربا" بقلم محمد عيادي، موقع "مغرس"، بتاريخ ١٧- ٠٣- ٢٠١٠م.

المبحث الرابع
التمييـــز العنصري

حقوق المواطنة إنما هي تكريس لمبدأ احترام كرامة الإنسان، فلا فرق بين مواطن أصلي أو وافد، فلكل حقوقُه، تُصان بها كرامته التي هي "ينبوع كل الحقوق الأساسية فهي دليل إنسانية البشر، التي تفرقهم عن الحيوان وسائر المخلوقات، وهي التي بررت تلطيف العادات القديمة القاسية، واستدعت تدوين النصوص المدنية (الوضعية) والدينية"[١].

وهذا ما أكده ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوربي، في نص الإعلان الرسمي، - الذي تحرر في نيس ٧ ديسمبر ٢٠٠٠م، عن البرلمان الأوربي ومجلس الاتحاد الأوربي واللجنة الأوربية - على ضرورة احترام حقوق كل مواطن، بنبذ كافة أشكال التمييز تحت أي اعتبار كان، وهذا ما نصت عليه:

المادة ٢١: "عدم التمييز":

١- يحظر أي تمييز قائم على أي سبب مثل الجنس أو العرق أو اللون أو الأصل العرقي أو الاجتماعي أو السمات الأجنبية أو اللغة أو الدين أو العقيدة أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الانتساب إلى أقلية قومية أو بسبب الممتلكات أو الميلاد أو الإعاقة أو السن أو التوجه.

والمادة ٢٢: "الاختلاف الثقافي و الديني واللغوي":

يحترم الاتحاد الاختلاف الثقافي و الديني واللغوي[٢].

---

(١) كتاب "أركان حقوق الإنسان: بحث مقارن في الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة" تأليف د.المحامي الدكتور حجي المحمصاني، الطبعة الأولى، ١٩٧٩، ص ٦٨.

(٢) نقلاً عن مجلس الأوربي للبحوث والإفتاء، الملاحق، ص ٤٧١ - ٤٧٠.

وغيرها من النصوص التي توحي بأن الدول الأوربية قائمة على مبدأ حيادية الدولية، الذي يحتم عليها أن لا تنظر للخصوصيات في التعامل، فهي مجبرة في هذا السياق أن تتعامل مع المواطنين من غير أن تلتفت في تعاملها معهم إلى هويات عرقية أو دينية أو انتماءات سياسية، لتقود زخم الحركة الشعبية في محاولة لصناعة الرضى الشعبي وتحديد مضامين الصالح العام.

وإن بدا الأمر إيجابياً لأبعد الحدود، إلا أنه يظل حبيس التنظير، أما الواقع فيحكي غير هذا، إذ نجد في عديد من الدول -كفرنسا وألمانيا وبلجيكا والدانمرك..-، تضييقاً صارخاً، واضطهاداً للأجانب عموماً، وللجالية المسلمة خصوصاً، لا لشيء إلا لأنها تدين بالدين الإسلامي.

بينما للأقليات غير المسلمة في كثير من البلدان الإسلامية اليوم، امتيازات وتسهيلات عديدة، في مختلف المجالات، تنبئ عن مبدأ النبل والتسامح في التعامل معهم، بخلاف وضع جالياتنا في الدول الأوربية، فقد أصبحوا "كبش فداء" لممارسات العنصرية والتمييز والاضطهاد الأوروبية.

والغريب في الأمر أن أساس التمييز بين المسلمين وغير المسلمين هناك، هو الاعتبار الديني، حيث إن كثيراً من الأوربيين يعتقدون أن الهوية الدينية أمر يعيق الاندماج، مع أن معظم القوانين والدساتير العصرية تكرس مبدأ حرية الفكر والعقيدة، "فحرية الفكر تستتبع حرية الاعتقاد على اختلاف ضروبها، من دينية وفلسفية وفنية، من دون استثناء، ومن أهمها حرية المرء في اختيار عقيدته الدينية، وفي اتباع المذهب الذي يؤمن به، وفي إقامة ما تفرضه هذه العقيدة، أو هذا المذهب من سلوك اجتماعي أو شعائر وطقوس، بشرط أن لا يكون في كل ذلك إخلال بالنظام العام، أو تعد على حرية الآخرين في ممارسة عقائدهم"[1].

(١) كتاب "أركان حقوق الإنسان" د. صبحي المحمصاني، ص ١٢٦.

فالتمييز ضدهم صار جلياً، فقد غدا التضييق خانقاً في مسائل العمل والسكن، وتمثل كذلك في كثير من الآراء المغرضة عن الدين الإسلامي، إضافة إلى القوانين المجحفة في حق معتنقيه (منع النقاب و الحجاب وحضر المآذن..)، والاعتداء على المساجد وعلى مقابر المسلمين، والأمثلة كثيرة لا يسعنا بحث مطول لتحليلها.

في حين يشهد التاريخ الإسلامي في البلاد المفتوحة، محطات مشرقة عديدة، تؤكد حسن التعامل مع غير المسلمين واحترام مقدساتهم، فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ، حينما زار كنيسة القيامة ببيت المقدس ودعاه صفرنيوس إلى الصلاة فيها، لكنه امتنع متخوفاً أن يأخذها المسلمون من النصارى بحجة أن عمر صلى فيها[(١)].

وكذا ما ذكره الإمام ابن القيم من أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عماله لا تهدموا بيت كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار[(٢)].

أوليس يمثل هذا قِمَّة التسامح، وقبول التعايش مع الآخر المختلف في العقيدة؟

في حين تجتهد بعض التيارات والأحزاب العنصرية غالباً في "تبرير مواقفها العنصرية تبريرات سياسية واجتماعية كأن تعبر عن مناقضتها لوجود الأجانب في البلد بناء على أن الأزمة الاقتصادية تقتضي إعطاء الأولوية في فرص العمل لأهل البلاد الأصلية"[(٣)].

---

(١) "التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين" الدكتور مصطفى بن حمزة، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠، ص ٥٤. نقلاً عن موسوعة المدن الفلسطينية.

(٢) كتاب "أحكام أهل الذمة" ابن القيم الجوزية، ص ١٢٠٠، تحقيق أبو البراء يوسف بن احمد البكري وأبي أحمد شاكر بن توفيق العاروري، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية.

(٣) كتاب "الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع" جون اسبيزيتو، ترجمة هيثم فرحات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م ص ٢٠.

وعليه ارتفعت نسب البطالة في أوساط الجالية المسلمة وضعفت الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الكثير من الدول الأوروبية للمهاجرين التي تتعمد عزل المسلمين في ضواحي فقيرة الأمر الذي يؤدي إلى ازدياد تمسكهم بالجوانب الدينية والاحتماء بها من الفضاء المجتمعي الضاغط على المستوى المادي والقيمي.

بل ونجد بعض المتطرفين قد لجأ لاستعمال العنف ضد المسلمين، فاعتدى بعض المتطرفين الفرنسيين على المسلمين الأتراك والمغاربة بالقتل وحرق البيوت والمساجد والمتاجر، بل وحرق أجسادهم على مرأى من الشهود وهذا ليس منا ببعيد. كما تناقلت وسائل الإعلام نبأ دخول متطرف فرنسي إلى أحد المقاهي وبيده مسدس رشاش حيث أطلق منه عيارات نارية على زبائن المقهى فقتل عدداً من المسلمين الأتراك وجرح آخرين.

وغيرها من السلوكيات المقيتة، التي هي حقيقة ليست مناهِضَةً للرموز الدينية كما يدعي الكثير، وإنما الباعث وراءها هو ثقافة "الإسلامفوبيا"؛ نتيجة للصورة النمطية البغيضة التي استقرت في الخيال الغربي، مما فيه زيف وتشويه متعمد عن حقائق الإسلام، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن هذه الممارسات العنصرية ناتجة أيضا عن التوجس والخوف من انتشار الإسلام، خاصة بعد صدور دراسات وإحصائيات عديدة تؤكد هذا الانتشار الواسع للإسلام، وبالتالي النظر إلى هذا الدين على أنه الخطر المحدق بالغرب.

وهذا القهر والحيف الذي يقع على المسلم، يشعره بأنه مواطن من الدرجة الثانية، أو أنه منبوذ داخل مجتمعه، مما ألجأ العديد "للتفكير في النزوح المضاد أي العودة إلى الشرق وكما قال الشاعر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام"[١]

لذا فإنه أصبح من الضروري مراجعة القواعد السلوكية لمواجهة العنصرية والسهر على تطبيقها على أرض الواقع الذي تعيشه الجالية المسلمة، وتنفيذ العقوبات المشددة ضد مرتكبيها، وتنبيه أو تحذير أصحاب العمل بوقف الممارسات القمعية ضد الأجانب والمسلمين خصوصاً.

(١) كتاب "الجاليات المسلمة في أوربا الغربية: مشكلات التأقلم والاندماج"، بحث "الجالية المسلمة كيف تندمج وتتأقلم مع مجتمعاتها" د. عواطف حسن علي عبد المجيد، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ص ١٣٧.

المبحث الخامس
اليمين المتطرف

تعدى الخوف من الإسلام أو "الإسلامفوبيا" الدوائر الإعلامية ليصل إلى دوائر أخرى: شعبية وأكاديمية وسياسية وحكومية، بحيث إن مفهوم الاندماج يتفاوت بين القوى السياسية ،فنجد بعض الأحزاب تحمل شعار الاحترام المتبادل داخل البلد الواحد، والمساواة في الحقوق والواجبات، وتسعى لتحقيق ذلك، بينما تتجه "بعض الأطراف إلى تقديم تفسير للاندماج يكاد يتطابق مع فكرة (الإذابة) أو (الصهر) وطمس الخصوصيات في نطاق الأغلبية، حسب ما نراه في خطاب اليمين المتطرف"[(١)]. الذي يرى أن هذه الخصوصيات والهويات الغريبة على المجتمع، تحمل في طياتها بذور الموت لثقافاتهم الأصلية ..، ومن فينة لأخرى كشفت مختلف الآراء عن هذا الموت أو التذويب للآخر في بوتقة الدول الأوروبية، فكيف ينتظر من المسلمين أن يقبلوا هذا الآخر من غير تربص ووجل وهو الذي يرفض هويتهم وقيمهم الدينية والثقافية؟!

وصعود العناصر اليمينية المتطرفة منذ السبعينيات، ما كان إلا تعبيراً عن مدى الكره للأجانب، وفي مقدمتهم المسلمين، إذ يبدو في خطاباتها العداء والتحريض واضحاً.

خاصة وأن (الحرب ضد الإرهاب والتطرف) كانت ورقة رابحة بالنسبة لمثل هذه الأحزاب المغرضة؛ لطرح مضامين تعصبية معادية للأجانب في الصحف اليومية والمنابر السياسية، وبتعبيرات معادية للمسلمين وإصدار أحكام ظالمة في حقهم.

خاصة وأن نفوذها متنامٍ، ودورها متعاظم في مناهضة الوجود الإسلامي في البلد

(١) سلسلة آفاق الأوربية العدد ١، "مسألة الاندماج" ص ١٧.

والمطالبة بترحيل الأجيال المسلمة إلى بلدانهم الأصلية.

والملاحظ أن هذا التيار التحريضي، بلغ مداه، بحيث تعدى معارضة بناء المساجد، إلى الدعوة إلى إيقاف دعوة الإسلام، فبدأ الخلاف حول تعريف حرية التعبير والنقد وحدودها، ومدى تداخلها مع الإساءة إلى الأديان وإهانتها فيما بين الغربيين والمسلمين.

الفصل الثالث
آليـات دعم الاندمـاج
المبحث الأول
ثقافة المشترك الإنساني: أرضية للتعايش

حتى يتحقق التعايش السلمي البناء، بين أفراد المجتمع الواحد، مع اختلافاتهم الدينية والعرقية والجنسية..؛ ليكونوا مندمجين في وحدة متناسقة، لا تعترف بمجمل الفوارق، لا بد من أرضية مشتركة بينهم، على أساسها تبدأ عملية التعارف والتحاور والتفاهم ومن ثم التعاون والتكامل، هي أرضية تحكمها القيم الإنسانية النبيلة، وتضبطها القواعد الحكيمة التي اجتمعت إرادة المجتمع الدولي على التقيد بها والاحتكام إليها.

فهي إذا قواسم مشتركة من القيم والمثل والمبادئ والأخلاق التي لا خلاف عليها ولا نزاع حولها، استوحاها تطور الفكر الإنساني من قيم الأديان السماوية عبر تراكم المعرفة، وأقرتها إرادة المجتمع الدولي عبر حقب التاريخ الإنساني.

ولعل أهم ما يميز الأرضية المشتركة بين الناس كافة، على تفاوتهم واختلافاتهم، هي "الكرامة الإنسانية" التي أنعم الله بها على بني آدم عليه السلام، وفي ذلك يتساوى الناس جميعاً؛ ليعشوا سوية على وجه الأرض تحت لواء "الأخوة الإنسانية"، بالتعارف والاحترام للآخر المختلف، في ضوء "الأخلاق العالمية" السامية.

لذا أخصص الحديث في هذا المقام لمحورين أساسيين في المشترك الإنساني هما: الكرامة الإنسانية، والأخلاق العالمية.

المحور الأول ـ الكرامة الإنسانية:

الوحي الإلهي هو تكريم لابن آدم؛ لهدايته لما فيه خير له، وتفضيل له عن سائر المخلوقات، فكرامة الإنسان من تكريم الخالق جل وعلا له، وهي "أصيلة في الطبيعة البشرية لا تكتسب لتوافر عناصر أو لتظافر عوامل"[1].

وهذا ما أكدته الآية الكريمة، في قول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[2]، فالإنسان هو العنصر الحاسم في طرح كل مبدأ أو تصوّر من التصوّرات على مستوى عالمي مشترك، و"لا يمكن أن يكتسب الخطاب الوسطي الإسلامي سمة العالمية على أرض الواقع، كي يتعامل مع الآخر تعاملاً متوازناً هادفاً، ما لم تتطوّر فيه مستويات الحديث عن الإنسان، من الخطابة وتعداد المبادئ، إلى الدراسات الميدانية المتفاعلة مع الواقع البشري ومعطياته الآنية والمتغيّرة"[3].

وأي علاقة بين المسلم وغير المسلم يجب أن تكون نابعة من خصوصية الثقافة الإسلامية التي من خصائصها الانفتاح على الغير، والتسامح مع جميع أهل الأديان والعقائد والثقافات والحضارات، والنزوع نحو التعاون في إطار الأخوة الإنسانية التي تجمع بين البشر كافة، من دون اعتبار للاختلاف في المعتقد والمذهب أو في العرق

---

(١) "الحوار من أجل التعايش" د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى، دار الشروق، ص ١٢٣.

(٢) [الإسراء: ٧٠].

(٣) "الخطاب الوسطي في العلاقة مع الآخر الوسطية الإسلامية.. المفهوم، التحديات، الأدوار" ، البحث المقدّم إلى مؤتمر "المنتدى العالمي للوسطية" المنعقد في صنعاء يومي ٥ و١٤٣١/٦/٦هـ ١٩ و٢٠١٠/٥/٢٠م بعنوان: الوسطية الإسلامية.. المفهوم، التحديات، الأدوار، قدمه نبيل شبيب ١٤٣١/٦/٥هـ و٢٠١٠/٥/١٩م ، حمل من موقع د. زكي الميلاد.

والجنس، وتقتضيها ثانياً ضرورات التعايش الذي أصبح سمة العالم الجديد، وتمليها متطلبات الحياة في المجتمعات المعاصرة، وتفرضها مصلحة الأجيال المسلمة الناشئة في غير بلاد الإسلام.

وهذا المعنى هو ما أكده الدكتور عبد العزيز عثمان التويجري في قوله: "والانتساب لآدم وحواء وشيجة وقربى ورحم تجعل من الناس جميعاً أسرة واحدة في شبكة واسعة من أبناء العمومة والخؤولة، ومن هذا المنطلق لابد أن تصاغ العلائق بين الناس والناس، وتتشعب الأسرة الإنسانية وتنساح في أرجاء الأرض"(١).

فالقرآن الكريم يؤكد أن "الإنسان أخو الإنسان"، وهذا هو أول مظهر من مظاهر الكرامة، بحيث يُشعر بالتسوية بين بني البشر، في مثل قوله تعالى في الآية التي صدرنا بها الحديث: (يا بني آدم)، وغير بعيد عن هذا قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾(٢).

وكلمة "تعارفوا" في الآية تحمل "معنيين: الأول أن يعرف بعضكم بعضاً، والثاني أن تتعاملوا فيما بينكم بالمعروف"(٣).

وفي الحديث النبوي الشريف يقول النبي ﷺ: (يَا أيّها النّاسُ، إنّ ربَّكُم واحِد، وإنَّ أبَاكُم واحِد ألاَ لَا فَضْلَ لِعَرَبِي علَى عَجَمِيّ، وَلَا لِعَجَمِيّ علَى عَرَبِيّ، وَلَا لِأَحْمَرَ علَى أَسْوَدَ وَلاَ لِأَسْوَدَ علَى أَحْمَرَ إِلّا بِالتَّقْوَى، أَلَاَ هَلْ بَلّغْتَ، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللّهَ قَالَ:

(١) "الإسلام والتعايش في أفق القرن الواحد والعشرين" د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري ص ١٧.

(٢) [الحجرات: ١٣].

(٣) "الإسلام والتعايش في أفق القرن الواحد والعشرين" د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري ص ١٧، نقلاً عن "رسالة العقل العربي المسلم" حسان حتحوت.

فَلْيُبَلِغْ الشَّاهِد الغَائِب)[1]، إذ ليس في الإسلام إنسان أبيض أكرم من إنسان أسود، ولا فيه إنسان من قبيلة أكرم من قبيلة أخرى، ولا فيه إنسان غربي أكرم من إنسان شرقي.

إن التعامل الإسلامي مع الآخر في الغرب لا يستقرّ ما لم يخرج من قيود الاقتصار على تقديم الردّ على الشبهات والأباطيل الصادرة ضد الإسلام والمسلمين، إنّما يكون له المفعول الإيجابي حينما ينطلق من المعطيات الذاتية، وأولها مفهوم الكرامة الإنسانية، لطرحٍ رؤية حضارية إنسانية، يمكن أن تنطوي على نقاط التقاء ونقاط افتراق مع أطروحات الآخر. ولا يتحقق ذلك دون أن يصدر الخطاب الإسلامي عن "رؤية معرفية شاملة يولد منها منظومات فرعية مختلفة"[2] تؤسس للمعنى الحضاري والإنساني الواسع للوجود الإنساني على وجه الأرض.

المحور الثاني: القيم والأخلاق العالمية:

الأخلاق العالمية كما يعرفها الدكتور طه عبد الرحمن أولاً هي: "أخلاق ذات طبيعة عملية، إذ تستقرئ من التجربة الأخلاقية الحية للإنسان، وثانياً: أخلاق ذات مصادر متعددة حيث تشترك أطراف كثيرة في تحديد قواعدها وأحكامها، وثالثاً: أخلاق ذات توجه ديني، إذ إنها تستقي قيمها ومبادئها من الأديان المختلفة"[3].

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان، ج ٤، باب: حفظ اللسان، فصل: حفظ اللسان عن الفخر بالآباء، ص ٢٨٩، رقم / ٥١٣٧، قال: في إسناده بعض من يجهل.

(٢) "الخطاب الوسطي في العلاقة مع الآخر الوسطية الإسلامية.. المفهوم، التحديات، الأدوار"، البحث المقدّم إلى مؤتمر "المنتدى العالمي للوسطية" المنعقد في صنعاء، قدمه: نبيل شبيب.

(٣) "الأخلاق العالمية: مداها وحدودها" طه عبد الرحمن، سلسلة أوراق طابة، عدد ١، ٢٠٠٨م، ص ٩.

وقد نص الإعلان العالمي للبرلمان العالمي للأديان[١] على ضرورة إقامة نظام عالمي جديد، ونظام خُلُقي كوني جديد، إذ لا تستطيع أي جماعة أن تعيش وتستمرّ بدون نظامٍ معيَّنٍ مكوَّنٍ من قوانين وأعراف وترتيبات نابعة من القيم السامية كالحرية والعدل والتسامح والسلام وحماية الأرض، مع ضرورة تخطي كل الاختلافات الدينية والثقافية.

ولتكريس هذا النظام حث الإعلان على مطلب المعاملة الإنسانية إذ "ينبغي أن يعامل كل إنسان معاملة إنسانية والمقصود بذلك "حفظ كرامته، فلا يحرم من ثابت حقوقه، ولا ينزل منزلة الوسيلة لغيره، ولا تقدر ذاته على أساس العرق أو الجنس أو السن أو اللون أو الدين أو اللغة أو الموطن أو المجتمع، ويتصل بهذا المطلب مبدأ أساسي أخذت به الأديان باسم "القاعدة الذهبية"، وصيغته السالبة هي: (لا تعامل غيرك بما لا تحب أن تعامل به) وصيغته الموجبة: (عامل غيرك بما تحب أن تعامل به)"[٢].

ولهذه القاعدة صور متعددة، ونصوص كريمة تعضدها، وتحث على الالتزام والتقيد بها، منها ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (فَوَا ٱلذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه)[٣].

وقد أشار الإعلان إلى خمسة إرشادات للتأكيد على مطلب: "المعاملة الحسنة" إن على مستوى الأفراد أو المؤسسات، وهي:

أولاً- "الالتزام بثقافة اللاعنف وباحترام الحياة": إذ لا بقاء للإنسانية من غير سلام عالمي؛ فثقافة السلم في الناس فطرتهم النقية، ووجدانهم الإنساني، وتبعث عقولهم على

(١) إعلان "نحو أخلاق عالمية" صادر عن البرلمان العالمي للأديان سنة ١٩٩٣ بشيكاغو، حرر الوثيقة الكاتب السويسري: هانز كينغ.

(٢) "الأخلاق العالمية: مداها وحدودها" طه عبدالرحمن، سلسلة أوراق طابة ١، ٢٠٠٨م، ص ١٢.

(٣) صحيح البخاري، ج١، كتاب الإيمان، باب من الإيمان ما يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣.

التفكير بموضوعية وعمق في خدمة واقعهم ومستقبلهم الاجتماعي والوطني، وتدفعهم إلى التنافس الإيجابي في الإنتاج والإبداع قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾[1].

ثانياً-"الالتزام بنشر ثقافة التعاضد وتحقيق نظام اقتصادي عادل": وذلك بالأمانة في المعاملات وحسن تدبير الموارد الاقتصادية، ومحاربة السرقة، وأنواع الاحتيال، والاختلاس ..

ثالثاً- "الالتزام بثقافة التسامح والحلم وبحياة ملأى بالصدق": وذلك بالتزام الصدق في الأقوال والأفعال.

رابعاً-"الانضواء ضمن ثقافة تتساوى فيها الحقوق وتتكافأ فرص المشاركة بين الرجال والنساء": تأكيداً لمبدأ الاحترام ونبذ كل أشكال التمييز والاستغلال.

خامساً- "الارتقاء بالوَعي": إذ أصبح لزاماً توعية الناس بهذه الأخلاق لتغيير الضمائر، وهذا لن يتحقق إلا بالإرادات الجادة الهادفة إلى إنقاذ البشرية من كل المفاسد والأضرار لقوله تعالى: ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[2].

والأخلاق بالنسبة للمسلمين، تتخذ توجهاً عالمياً لإنقاذ الإنسانية من المهالك والمخاطر التي تهدد وجودها. فقيمة النفع وحب الخير للناس مثلاً، تجَسِّد بجلاء الصلة الوثيقة بين المعرفة والأخلاق، لتحقيق كل ما فيه صلاح للإنسانية، كالتعاون للحفاظ على البيئة، وعلى سلامة الأرض وكائناتها، ومحاربة شتى أشكال الفساد في المجتمع..

---

(١) [البقرة: ١٤٨].

(٢) [الرعد: ١١].

فمثل هذه القيم الأخلاقية تُلَقَّن في مختلف المؤسسات والمحاضن الاجتماعية، بدءاً من البيت بما يحوي من علاقات أسرية، وكذا المساجد والمدارس والجامعات ..، انطلاقا من الدروس والمحاضرات والمنشورات، وحملات التوعية والمسابقات والجوائز وغيرها، فتكون تلك الجهود مهتمة بعناصر الغرس والإلزام و توعية كل شريحة -في المجتمع- بما يناسبها، وذلك ببيان الأنموذج الأخلاقي المتوارث، وربطه بالنظرة التجديدية والمستجدات الطارئة، وتطبيق ذلك في مختلف جوانب الحياة ثقافياً وسياسياً واجتماعياً..، لنشر الثقافة الإنسانية العالمية التي تحقق العيش المشترك، وتحرك دورة التغيير والتجديد لما فيه خير وصلاح للمجتمعات.

من خلال هذه اللمحة الموجزة عن الكرامة الإنسانية والأخلاق العالمية، يتضح لنا رسوخ مبدأ الأخوة الإنسانية التي تجمع بين الناس، لوحدة النوع البشري، ووحدة الاعتقاد بالقيم السامية -عند ذوي العقول والفطرة السليمة-، بما يحقق أنبل المعاني التي تؤسس للعيش المشترك فيعيش سكان الوطن الواحد "بسلام وحب ووئام بغض النظر عن انتماءاتهم أو طقوسهم أو عاداتهم الدينية أو آرائهم السياسية، فلابد أن تكون ثمة ثوابت وطنية تجمعهم"[(١)] في ظل الأخلاق الرفيعة، والقواسم المشتركة، لتحقيق السلام الداخلي والخارجي.

وعليه فإنه أصبح من الواضح أن الجالية المسلمة يمكن أن تؤدي رسالتها، فتكون مصدر إشعاع حضاري بما ستحمله من علاج للنفوس وتهذيب للأخلاق وإرشاد للحكمة، إن هي التزمت بما في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ من تعليمات ربانية جليلة، تقدمها للعالم الغربي بمنهج نفعي "يكون أمراً مشروعاً، كما يكون منهجاً

(١) "الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان: الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً" سالم رضوان أبو رمان، ط الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م، ص ٧٩.

ناجعاً في الغرض، فما من قيمة من القيم الإسلامية إلا وهي تحقق للإنسان مصلحة في حياته الفردية والاجتماعية "[1]، وأعلى درجات البرهان النفعي في تقديم القيم الإسلامية، هو حين تَجَسدُهُا في الأفراد والجماعات الإسلامية في الغرب.

(١) كتاب "فقه المواطنة"، د. عبد المجيد النجار، ص ٢١ ـ ٢٢.

المبحث الثاني
التعاون على العمل الصالح

المجتمع الإنساني[١] الغربي، اجتمع فيه عدد هائل من الأفراد من مختلف الأجناس والهويات والثقافات والحضارت، وحَّدتهم أهداف ومصالح متعددة، عامة وخاصة، مثلت الأُسَّ الذي تقوم عليه الروابط والعلاقات الاجتماعية والمؤسساتية .

وحتى يكتب النجاح والاستمرارية للمعارف والصلات البسيطة والمركبة، كان لزاماً تحديد مصالح مشتركة تسعى الأطراف لتحقيقها، انطلاقاً من مبدأ التعاون والتكامل داخل المنظومة المجتمعية، وحب الخير والنفع، ودفع كل ما من شأنه زعزعة الوحدة والتماسك الاجتماعي.

والإسلام يحث ويرغب بقوة في العمل الصالح، فكل عمل كان القصد منه الخير للناس عامـــة، أو خاصـــة، إلا وجزاؤه خيراً عند الله سبحانه، لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٢]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[٣]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[٤]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[٥].

---

(١) "عدد هائل من الأفراد، جمعت بينهم روابط وأهداف مشتركة، واستقروا في أرض، والتزموا بعرف أو قانون"، انظر: كتاب "المجتمع والأسرة في الإسلام" د. محمد طاهر الجولاني، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، دار عالم الكتب، ص ١٤.

(٢) [التوبة: ١٠٥].

(٣) [الكهف: ١٠٧].

(٤) [الكهف: ٣٠].

(٥) [الرعد: ٢٩].

أما عن سيرة الرسول ﷺ، وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم، فكلها دعوة إلى العمل وترغيب فيه، لأن العمل في الإسلام عبادة لله عز وجل، وغاية إنسانية محمودة لما تحققه من خير.

فالله سبحانه دعا الإنسان -بواسطة رسله- إلى أن يكون دائم العمل، دائم التحرك والنشاط والعزم، فلا مجال للإهمال في دين الإسلام، ولا قبول للبطالة، ولا مبرر للكسل، بل إن المبادرة إلى الخير مطلوبة شرعاً.

فحياة الإنسان وطموحاته، لن تحقق بقدراته الفردية، إلا إذا تكاثفت الجهود واتحدت فيما بينها على مختلف الأصعدة والمجالات، خاصة في ظل ظروف العصر الحاضر الذي يمكن تسميته بعصر التكتلات.

وهذا طبعاً لا يتحقق إلا بوجود إرادات جادة، وقدرات فاعلة ومُؤثرة، ترسم الأهداف طبقاً للمصالح المشتركة، وتخطط لكل ما فيه نفع، كاستغلال موارد البلاد الاقتصادية مثل استخراج المعادن، والزراعة والمياه، وتعبيد الطرق، وتوفير النقل ..، على مستويات شاملة، كما يتم التعاون بين الجميع حتى في أبسط العلاقات والمعاملات بين الناس، ولو اقتضى الأمر التنازل، في بعض الأحيان عن جزء من المصلحة الفردية التي تفرضها المنشآت العامة.

وعليه فإن الأجيال المسلمة المهاجرة إلى الله ورسوله تعلم علم اليقين أن "لها حياة لا تجاريها مظاهر أخرى ولا تيارات فكرية ..وإنما هي حياة مِلْؤُها الإيمان والأعمال الصالحة حيث يتبلور معنى الوجود الحق الصادق، إذ إن قانون التدافع يجعل تيار الوجود مواجهة دائمة لا يفلح فيها إلا من أخذ المبادرة وفاز بالحزم والعزم أسوة بأولي العزم من الرسل .."[1].

(١) الدكتور مهدي بن عبود "كيف تكون الأقليات المسلمة مصدر إشعاع حضاري"، =/=

المبحث الثالث

دعم العلاقات الاجتماعية

القرآن الكريم يؤصل للعلاقة بين المسلم وغير المسلم في آية كريمة يمكن اعتبارها دستوراً على أساسه تقوم أي علاقة -كيفما كان نوعها- بين الطرفين، يقول فيها عز وجل: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1] ومعنى البر في القرآن الكريم مراتب ومقامات منها:

أولاً- بمعنى حسن المعاملة وطيب العشرة ومكارم الأخلاق، والبعد عن أعمال الشقاوة والطغيان، وفيه ورد قوله تعالى: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

ثانياً - وجاء بمعنى الإنفاق والبذل في سبيل الله، وهو كل طريق للحق والخير والنفع، وفيه ورد قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[3].

ثالثاً - وجاء بمعنى العبادة من صلاة وزكاة، وفيه ورد قوله تعالى بعد أمر بني إسرائيل بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4].

المحاضرة الأولى من كتاب "الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها" مجموعة من المتخصصين، دار الندوة العلمية، ١٩٩٩م، ص ١٢٦٧.

(١) [الممتحنة: ٨].

(٢) [مريم: ٣٢].

(٣) [آل عمران: ٩٢].

(٤) [البقرة: ٤٤].

٤. وجاء بمعنى مجموعة من الفضائل النفسية، والاعتقادية والخلقية، وفيه ورد قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1][2].

فالمسلم مأمور بمقتضى هذا النص القرآني، حال اجتماعه بغير المسلم غير المقاتل، أن يحسن معاملته بطيب العشرة وحسن الخلق، بما في ذلك الوفاء بعهدٍ عاهده، ومساعدته حسب استطاعته، وهذا هو ما يجب أن تَعِيه الأجيال المهاجرة، خاصة وأنها في عقر داره، تجاوره في المسكن، وتصاحبه في العمل والشارع، و تشاركه الطعام - فيما كان حلالاً طيباً- وذلك لأن الأصل في العلاقات بين الناس هو التعارف والتعايش السلمي بالبر والإحسان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3]، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لقول المولى عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4]، ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟

(١) [البقرة: ١٧٧].

(٢) كتاب "التكافل الاجتماعي في الإسلام" د. مصطفى السباعي، ١٤٣٠هـ -٢٠١٠م، دار ابن حزم، ص ١٨٣- ١٨٤.

(٣) [الحجرات: ١٣].

(٤) [النحل: ١٢٥].

ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[2]، فالتناحر والتباغض والإيذاء والعنف والبغض والحقد، كل ذلك مرفوض في الدين الإسلامي الحنيف، فالرسول عليه السلام يوصينا قائلاً: (لا تحَاسَدُوا ولا تبَاغَضُوا، ولا تَدَابَروا، ولا تقَاطَعُوا، وكُونُوا عِبَادَ اللَهِ إِخْوَانًا)[3].

فالذمي كل ما كان في عهد في الديار المسلمة، فكذلك المسلم في تلك الديار عليه أن يعلم أنه في عهد معهم ما دام قَدِم دارهم بشروطهم والتزم الوفاء بها، وعليه فإنهم يعاملون معاملة أهل الذمة من احترام وحسن معاملة وعدم الإساءة، وكذا الشأن بالنسبة للأجيال الجديدة التي ولدت ونشأت هناك، عليها أيضا أن تعِيَ بأنها جزء من هذا المجتمع الذي لا غنى عنه، فتحاول التوفيق بين خصوصيتها الإسلامية، وخصوصية بلدها الذي تعيش فيه، مراعية كل ما من شأنه توطيد العلاقات مع هذا البلد.

فيسهل بذلك على المسلمين هناك التأقلم و الاندماج في المجتمعات الغربية، وربط جسور الوُدِّ والمعاشرة الطيبة والقدوة الحسنة، وهذا لا يستلزم الولاء لهم المنهي عنه، لأن النهي عام في الولاء للحربي المقاتل.

لذا فإن كل علاقة بين المسلم وأخيه الإنسان يجب أن تنبني على أساس من الحب والتعاون على كل ما من شأنه تقويتهم في الحياة.

---

(١) [العنكبوت: ٤٦].

(٢) [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

(٣) صحيح مسلم، ج ١٥، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، ص ٩٥، رقم ٢٤.

وتمثل هذه العلائق والصلات الرهان والمحك "الذي يمحص سلامة الكيان الحضاري الإسلامي في غير ديار الإسلام، فبقدر ما تنتظم العلاقات وتستقيم على النهج الصحيح وتقوم على القواعد السليمة، يتقوى استقرار "الأقليات"[1] الإسلامية، ويتعاظم الدور الذي تؤديه في الحياة العامة، وتتزايد المكاسب التي تحققها والمنافع التي تجنيها "[2].

(١) مع تحفظ على هذا الوصف للأجيال المسلمة المهاجرة؛ فقد أصبح هذا الوصف مثار عديد من النقاشات، فاقترحت أوصاف ومسميات بديلة، وذلك لبيان القيمة الوازنة والواقع المهم الذي يمثله الوجود الإسلامي هناك، بدل أن يظل حسب هذا الوصف مجرد أقلية عددية، فاعليتها محدودة، ما تلبث حتى تذوب وسط الأغلبية.

(٢) كتاب "الحوار من أجل التعايش" د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى ١٩٩٨م/ ١٤١٩م، دار الشروق، ص ١٤١.

المبحث الرابع
الفعالية الحضارية

أركان الإسلام تؤدي مفردة ومجتمعة إلى تزكية الفرد وإصلاح المجتمع، لذا فإنه على الخطاب الإسلامي في الغرب "الارتقاء بنفسه" إلى مستوى طرح الرؤى الإسلامية المناسبة، بأسلوب منهجي لمعالجة الأطروحات الغربية، إلى تقديم حلول للمشكلات المستعصية، مع مراعاة مكونات العقل الغربي، وأساليب مخاطبته والتأثير فيه اعتماداً على المبادئ الأساسية المستمدّة من الأصول الإسلامية، وإعداد الدراسات والبحوث الموضوعية التي تربط بين تلك المبادئ ومتطلبات الواقع القائم، ربطاً متجدداً يواكب متغيراته المتواصلة، بفعالية حضارية[1] تكون محركاً لعجلة الإنتاج، وذلك بشحذ مجموع الجهود التي يبذلها الفرد والمجتمع، لتحقيق التقدم الحضاري على مستوى كافة المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية ..

والوجود الإسلامي في الغرب عموماً وأوربا خصوصاً عليه أن يعبر عن ذاته، فيكون "وجوداً حضارياً فاعلاً، لا أن يكون امتداداً لسياسات خارجية، أو ينقل معه نزاعات الشرق إلى الغرب، أو أن يذهب وراء أمور ليست ذات أهمية كبيرة وينشغل

(١) هي: "القدرة المتزايدة على شحذ الإمكانات التسخيرية للفرد والمجتمع والأمة، والتحكم الوظيفي المتوازن الدقيق فيها، وحسن استثمارها في تحقيق أفضل مستويات الإشباع المعرفي والروحي والمادي أو الاجتماعي الممكن للفرد والمجتمع حتى يؤديا دورهما بكفاءة واقتدار، في مواجهة تحديات الابتلاء والتدافع والاستجابة لطموحات التداول والتجديد"، من كتاب "الفعالية الحضارية والثقافة السنية" د. الطيب برغوث، من سلسلة: الوعي السنني، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار قرطبة، ص ٢٩.

بها، وينصرف عن الانشغالات الحقيقية"[1] بل يكون جل انتباهه منكباً على إسهامه الحضاري في بناء تلك المجتمعات، إسهاماً يدفع أوربا إلى إعادة النظر في تعاملها معه، حينما تتأكد من عجزها عن التخلي عن هذا الكيان لما يقوم به من أدوار فعالة في البناء الحضاري العام، على مستويات متعددة.

وهنا ندرج بعضاً من الأمثلة والنماذج للإسهامات الممكنة للجالية المسلمة في الغرب في:

المستوى الاجتماعي:

- المشاركة الإيجابية في المؤسسات الإنسانية والخيرية، والإسهام في مختلف الأنشطة البيئية في الحي والمدينة وعلى مستوى الدولة..
- المحافظة على السلوك القويم .. بما يحققه من قدوة و سمعة حسنة.
- مجابهة التخريب والإفساد: وذلك "لحماية منجزات الإنسان الحضارية ووقف كل ما من شأنه أن يعوق مسيرتها ونموها، وملاحقة أي محاولة لإنزال الدمار بها من الداخل تحت أي شعار كانت"[2].

المستوى الإعلامي:

- إصدار مجلات دورية متخصصة تهتم بشؤون الجالية المسلمة، بلغات مختلفة..
- الاهتمام بالكتابة في الصحف والمجلات..
- المشاركة في البرامج الإذاعية والتلفزيونية..

---

(١) كتاب "الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل" زكي ميلاد، تركي علي الربيعو، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر، لبنان - بيروت، ودار الفكر، دمشق ص ١١٧.

(٢) كتاب "حول تشكيل العقل المسلم" د. عماد الدين خليل، ط، الرابعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ١٣٩.

وذلك لأن أجهزة الإعلان تؤثر بقوة في الواقع الغربي، وتعرِّف بالمشكلات والتحديات التي تعترض حياة الجالية المسلمة هناك، وتدافع عنها حال هضم حقوقها، وتساهم في تقديم الإسلام في صورته الإنسانية والحضارية الحية، وفي جانب آخر "تنقل أخبار الأقليات وقضاياهم ومطالبهم إلى العالم الإسلامي، وتعرف عامة المسلمين بأوضاع إخوانهم هناك مما يساهم في تكوين رأي عام إسلامي شعبي يقظ وفعال، تجاه قضايا "الأقليات"، مما يساهم في الضغط العالمي على الحكومات المضطهدة للأقليات المسلمة"[(١)].

المستوى السياسي:

ـ الانخراط في العمل السياسي بشتى أشكاله، وهذا ما نبه إليه العديد من المفكرين والعلماء، على رأسهم الشيخ الدكتور القرضاوي بحيث يرى "أنه في مصلحة المسلمين الانخراط في السياسة كوسيلة لخدمة مصالح الجماعة والدين ومنع الأحكام المسبقة والتمييز ضد المسلمين"[(٢)] لما يمثله من حصانة لمبدأ حرية الاعتقاد، وتحصين المكتسبات الاجتماعية والسعي للمزيد منها.

---

(١) كتاب "الجاليات المسلمة في أوربا الغربية: مشكلات التأقلم والاندماج" ، بحث "الجالية المسلمة كيف تندمج وتتأقلم مع مجتمعاتها" د. عواطف حسن علي عبد المجيد، دار النفائس، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م، ص ١٣٧، نقلاً عن د. عبدالمجيد النجار "الدعوة الإسلامية بأوروبا في ندوة مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، جامعة الشارقة ١٩ ـ ١٨، ٢٠٠١م.

(٢) "الاختلاف الديني والاندماج" أ.د باكينام الشرقاوي جامعة القاهرة، ورقة مقدمة لندوة جامعة الدول العربية (إدارة المغتربين) بالتعاون مع برنامج الدراسات المصرية الإفريقية بجامعة القاهرة، ص ١٠، نقلاً عن الدكتور القرضاوي.

المستوى المؤسساتي:

- تجهيز المراكز الإسلامية في مختلف التخصصات التربوية والتعليمية والثقافية والاقتصادية..، إذ من شأن هذه المؤسسات أن تجري البحوث العميقة في شؤون الواقع وفي شؤون الأحكام والفتاوى الشرعية، وفي شؤون الاستراتيجيات والخطط المستقبلية ..
- حسن تسيير وتنظيم هذه المنشآت، وذلك بتجهيز الأطر ذات الكفاءات العالية، والرفع من مستوى التكوين والتأطير المهني المتخصص، وتحديد الأهداف المنشودة، ورسم الخطط المتبعة.
- حسن تدبير وترشيد الموارد المالية، في إطار التوجهات المعلنة.

وفيما سيأتي نخصص مبحثاً لتناول موضوع المؤسسات الإسلامية في الخارج كآلية فعالة لتدعيم عملية الاندماج.

هذه المستويات وغيرها كثير لا يسعنا المقام لرصد كافة الأصعدة والمجالات والجهود المبذولة فيها، إنما هي لتحقيق فعالية حضارية كلية تقوم على مجموع "فعاليات جزئية، أصيلة وفعالة ومطردة، ينتجها الأفراد والجماعات والمجتمع والأمة .. في سياق تكاملي متناغم، تغذيه التنافسية الداخلية المشدودة إلى الخيرية، وتعززه التدافعية الخارجية المؤطرة بدوافع المنافسة"[1] بربطها بالمبدأ والقانون الاجتماعي الخالد المتمثل في قوله تعالى القانون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2].

---

(١) كتاب "الفعالية الحضارية والثقافة السنية" د. الطيب برغوث، من سلسلة: الوعي السنني، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، دار قرطبة، ص ٣٣.

(٢) [الرعد: ١١].

فعلى المسلمين أن يدركوا أهمية فعالية تدافعهم الذاتي والاجتماعي والحضاري، بما يحدثونه من تغييرات شاملة وعميقة في عوالمهم الثقافية والاجتماعية، لأن القافلة الإنسانية تسير، والخزي للمتخلفين عن الركب الحضاري.

المبحث الخامس
العدل الاجتماعي لاستتباب السلم والأمان

المجتمع الذي يتساوى فيه الناس، أمام القانون، ويعلو فيه سلطان العدالة والمساواة بين الأفراد والجماعات، وتغيب فيه أشكال التمييز والتضييق على حساب فئات معينة.

مثل هذا المجتمع هو الذي ينال الحظوة الوافية للسِّلم والأمان، الذي يمثل اليوم مطلباً ملحاً، وضرورة من ضرورات العيش الكريم.

"فالمجتمع عائلة كبيرة، وعدم المساواة بين أبنائه، وتمييز بعضهم على البعض الآخر، جورٌ يزرع الضغائن والأحقاد، ويضعف حالة المودة والإخاء، فالطرف الذي يحظى بالامتيازات يشعر بالعلو تجاه سائر الأطراف، مما قد يدفعه للطغيان والعدوان، كما أن الطرف الذي يقع عليه التمييز يشعر بالغبن والاضطهاد، فيضعف ولاؤه لمجتمعه ووطنه، ويتحين الفرصة للانتقام وإعادة الاعتبار"[(١)].

والمجتمع مهما عاش تنوعاً في انتماءاته العرقية، أو الدينية، أو المذهبية، أو ما شاكلها، لابد أن يشعر الجميع -وخاصة الأقليات- بضمان حقوقهم ومصالحهم المشروعة في ظل النظام والقانون من خلال التعامل الاجتماعي العام.

والمجتمعات الأوربية حتى تصل إلى مستوى المجتمع التعددي المتجانس، لا بد لها من تحقيق العدل والمساواة بين كافة أفرادها، بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو جنسهم .. انطلاقاً من مبدأ حيادية الدولة.

---

(١) كتاب "السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته" د. حسن الصفار، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م، دار الساقي، ص ٤٧.

وتجب الإشارة إلى أن التعدد داخل المجتمع الواحد ليس نقطة سوداء، كما يعتبرها بعض السياسيين الغربيين، بل هو إشراقة في حد ذاتها، فإذا استطاع المجتمع الغربي أن يحسن تدبير هذا التنوع والتعدد – بتخطيط محكم، وسياسات ناجحة، تراعي كافة الفئات، لتصوغ مستوى معيشي اجتماعي، يغري كافة أفرادها مهما كانت انتماءاتهم، حتى يسارعوا للإنتاج والعمل في سبيل الوصول إليه – سينجح في استغلال التنوع الثقافي والديني لديه، ويستثمره لصالحه، ويتخطى بذلك الصورة النمطية عن الآخر المهول، المخيف الذي يثير الفزع والنفور، فيتجنب بذلك كل ما من شأنه عرقلة مسيرته التقدمية، وتنميته المستديمة.

والمسلمون في الغرب، باعتبارهم مواطنين في مجتمعاتهم، عليهم أن ينقذوا أنفسهم من تلك "الجِيتُوَات" التي يسجن فيها الكثير نفسه هروباً من الصدمة المجتمعية والثقافية، وألا يتوانوا للحظة في المطالبة بمزيد من العدل الاجتماعي، واستنكار السياسات والممارسات القمعية، وكل أشكال العنصرية والعرقية التي تهضم فيها حقوقهم، والدفاع عن المظلومين والمقهورين في الأرض، على مستوى الدولة والجماعات والأفراد، بكل ما أتيح من وسائل وآليات، كمنابر الإعلام، و فعاليات المجتمع المدني ..، كل ذلك للضغط على أصحاب القرار في هذا المسار، لأن الحقوق تؤخذ ولا تعطى، لكن نطالب بها بطريق الحكمة والسداد فالمسلم "يجمع بين الوسائل والغايات على أساس نصرة الحق بالحق لا بالباطل، أو الطرق المنحرفة أو المغرضة أو الحاقدة أو الماكرة شأن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون ليس علينا في الأميين سبيل، هذا المؤمن المسلم يحمل أمانة وهي العقيدة مقرونة بالشريعة الغراء والهادية إلى سواء السبيل حسب متطلبات القلب البشري العاقل"[1]، بالتزام القوانين المعمول بها هناك،

(١) الدكتور مهدي بن عبود، "كيف تكون الأقليات المسلمة مصدر إشعاع حضاري"، =/=

لأن هذا من شأنه توطين المسلمين في تلك الديار، وتمتعهم بكافة حقوقهم الوطنية، التي في مقدمتها العدل والمساواة والاحترام.

فيصبح بذلك للمسلم شراكة حضارية تجمعه بمجتمعه، لينتقل من زمن الاستهلاك إلى زمن الإنتاج، ومن طور التأثر إلى التأثير، ومن الأخذ إلى العطاء والإبداع، في محاولة منه لصياغة الحاضر والتخطيط للمستقبل الحضاري لمجتمعه.

المحاضرة الأولى من كتاب "الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها" مجموعة من المتخصصين، دار الندوة العلمية، ١٩٩٩م، ص ١٢٦٩- ١٢٧٠.

المبحث السادس

المؤسسات الإسلامية ودورها في تفعيل الاندماج

توطين الوجود الإسلامي في البلاد الغربية هو الرهان الجديد الذي يعيشه المسلم في الديار الأوربية، تأكيداً لوجوده الحضاري، ليمثل أنموذجاً قوياً في نفسه مشعاً على غيره، كفرع من الوجود الأوربي نفسه، يتفاعل معه باعتباره جزءاً من أجزائه، للاستفادة منه والتأثير الدعوي فيه، وقد أصبح اليوم هذا الهدف قناعة لدى معظم المؤسسات الإسلامية الأوربية.

فأخذت معظم المؤسسات الإسلامية تتجه نحو تحقيق الاندماج الكامل للمسلمين في المجتمعات الأوروبية ليصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي الأوروبي العام.

فبدأت هذه المؤسسات في الظهور والتوسع، وبدا الاتجاه واضحاً لإقامة مؤسسات أكاديمية وجمعيات ومراكز إسلامية. والاتحادات تعد في أوروبا بالآلاف، وأصبحت ظاهرة لا تخلو منها أي مدينة من المدن الأوروبية، وطغى النشاط ذو الصبغة الإسلامية على أعمال المؤسسات والمنظمات والمراكز الثقافية والاجتماعية والدينية والتربوية.

ولعل أهم الانجازات؛ إقامة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث الذي تأسس عام ١٩٩٧ م، باعتباره "هيئة إسلامية متخصصة مستقلة تتكون من مجموعة من العلماء تهدف إلى إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوروبية والعمل على توحيد آرائهم الفقهية وإصدار فتاوى جماعية تسد حاجة المسلمين في أوروبا وتحل مشكلاهم وتنظم تفاعلهم مع المجتمعات الأوروبية في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها، والمقر الحالي

للمجلس في مدينة دبلن بأيرلندة".

ولا نغفل دور المنظمات الاجتماعية المختلفة، الخاصة بالطفل والمرأة والشباب والطلاب التي تمثل إحدى البُؤر الإشعاعية الهامة فهي اليوم "إحدى سمات العصر الحديث، وقد تثبت بالقطع مالها من فعالية واسعة في توجيه النشاط الاجتماعي"[1]، وتقديم الخدمات الإنسانية.

إضافة إلى المؤسسات التعليمية المتخصصة من مدارس ومعاهد وأكاديميات، التي تؤهل أبناء المسلمين وتفتح أمامهم الطريق ليتبوءوا المواقع الريادية في بلدانهم بما يتناسب مع قدراتهم وكفاءاتهم، وذلك لأن حجر الزاوية في المجتمعات "مدارس تقدم علوم اللغة والدين على نحو سائغ، يستبقي رباط الغرباء بتراثهم وتقاليدهم وعباداتهم، فكأنه ما تغير في حياتهم إلا المكان فقط، وتكون لغة التخاطب في هذه المدارس العربية وجوباً، وتكون الصلوات الجامعة جزءاً من اليوم المدرسي لا يتخلف عنه أحد، ثم يجيء من بعد ذلك المسجد أو النادي أو أي ملتقى يتم فيه التعارف، وتتقارب فيه الأسر، وتتصافح الوجوه في جو إسلامي مشبع بالإخاء والمحبة.. "[2].

فهذا الزخم والتنوع في العمل المؤسساتي، عمل متميز في حد ذاته، يجب أن تكون البرامج المتبعة فيه ذات منهجية علمية وتصور عملي لطبيعة الحاجة التي تفرضها الظرفية الحالية في البلدان الأوربية، والعمل الدائم على تطوير عملها، وقدراتها، ضمن عمل جماعي مؤسسي منظم غير متفرد، لأن العمل الجماعي المؤسسي يمثل عقل الأمة

(١) كتاب "الجاليات المسلمة في أوربا الغربية: مشكلات التأقلم والاندماج"، بحث "الجالية المسلمة كيف تندمج وتتأقلم مع مجتمعاتها" د. عواطف حسن علي عبد المجيد، دار النفائس، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٣٨.

(٢) كتاب "مستقبل الإسلام خارج أرضه، كيف نفكر فيه؟" محمد الغزالي، طبعة دار الشروق، ص ٧٨.

الذي يستشرف المستقبل فيعمل بما يتطلبه الواقع، ويبتعد عن الفشل ويحقق مطالب المسلمين في أوربا على أحسن وجه، ويعمل في إطار متعدد التخصصات بمؤسسات دعوية مباشرة، وأخرى "غير مباشرة كالمؤسسات الاقتصادية والإعلامية والصحية والبيئية والتربوية وغيرها.. فهذه المؤسسات يمكن أن تدير الدعوة على نسق فاعل، وهذا الأمر يُمَكِّن الإسلام في أوربا"[1].

(١) "الجاليات الإسلامية في أوربا الغربية، مشكلات التأقلم والاندماج" بحث: المسلمين في أوربا الغربية وسائل تطوير الدعوة الإسلامية فيها والاندماج في المجتمع الأوربي، إعداد عبد الله عبدالرحمن الخطيب ص ٤٢ ـ ٤١.

توصيـــات

مستقبل الوجود الإسلامي في أوربا يتوقف على عوامل عدة منها:

- طبيعة التمركز الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، يقتضي على المهاجر الموازنة بين الذوبان والعزلة، وعلى المجتمع الحاضن حسن التدبير فيما بين ثنائية الاندماج والتعددية.
- تطوير المصالح والمنافع المتبادلة بين العالم الإسلامي والغرب.
- التضامن الإسلامي في وحماية حقوق الأجيال المهاجرة، وصيانة مصالحها من قبل الدول الإسلامية.
- تصحيح الصورة المشوهة والمفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين بالفكر والسلوك.
- الخروج إلى معترك الحياة وإثبات الحضور، وذلك بشحذ الجهود، وتوحيد الصف الإسلامي، ونبذ التفريق والتشتت، للتكتل وتحقيق الوحدة بين جميع الفئات.
- تقديم الحلول الإسلامية لأي مشكل يقع هناك، مع البرهنة على صلاحية الشرع الإسلامي لكل زمان ومكان، لإقامة الحجة عليهم وإبراء الذمة من تبعية الدعوة إلى الإسلام.
- الاندماج مسؤولية مشتركة، على الأطراف وعي جسامة هذه المسؤولية، سواء من جانب المسلمين في الساحة الأوربية، أو من قبل شركاء الفضاء المجتمعي الكبير رسميًا وشعبيًا، سياسيًا ومدنيًا، وفي شتى المجالات؛ للنهوض بالاندماج الإيجابي للمسلمين في مجتمعاتهم الأوروبية.

الخـاتمـــة

الجالية المسلمة في أوربا تمر بظرفية زمنية صعبة بالأحرى مصيرية، على مستويات متعددة، فإما العمل على إثبات الوجود والمشاركة الفعالة وتحقيق الاندماج الإيجابي والمواطنة النشطة، بفطنة التعامل مع ثنائية الذوبان أو الانطواء والعزلة، وإما الرضا بالقليل الذي تتشدق به الدول الأوربية على أجانب لا يتعدى حضورهم كونهم "أقليات عددية" فقط.

الأجيال المهاجرة تستطيع كسب رهان هذا التحدي الذي فرضه عليها الواقع، إن هي استطاعت برمجة إصلاحٍ قائم على الرشادة في المنهج، يُستنبط من الفكر الإسلامي، ليتلاءم مع روح الشريعة الغراء، ويساير مقتضيات العصر الحضارية والثقافية، بهدف خدمة المسلم وغير المسلم على حد سواء.

والأمر يحتاج إلى المزيد من التضحية بكل غالٍ ونفيس، ووقفة أمينة صادقة خالصة لوجه الله، لمعونة هذه الأجيال المهاجرة، للحفاظ على هويتها والدفاع عن دينها، لتشكل جسراً تعبر من خلالها الدعوة الإسلامية إلى الملتقى الغربي، ولاسيما أن الإسلام ينتشر بقوته الذاتية في الغرب بسرعة وقوة تذهل خبراء السياسة والعلاقات الدولية، ولو وجد هذا الدين من يقدمه إلى الرأي العام الغربي بصورته الصحيحة لحدث انقلاب كامل وتغيير لشكل الحياة في تلك المجتمعات.

نسأل الله التوفيق والسداد.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

الحديث:

(١) صحيح الإمام البخاري، طبعة دار الفكر، ١٤١٠هـ -١٩٨١م.

(٢) صحيح الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) شعب الإيمان، الإمام البيهقي.

(٤) الجامع الصغير، الإمام السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

القواميس والمعاجم:

(٥) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(٦) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت.

(٧) لسان العرب، لابن منظور، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، لبنان.

(٩) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (إنجليزي - فرنسي - عربي)، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، سنة ١٩٨٢م.

(١٠) الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. مصلح الصالح، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار عالم الكتب، الملكة العربية السعودية.

(١١) قاموس "LAROUSSE"، مدير النشر: Patrice Maubourguet طبعة ١٩٩٥م، فرنسا، باريس.

الفقه:

(١٢) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق أبي البراء يوسف بن أحمد البكري، وأبي أحمد شاكر بن توفيق العاروري، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧هـ، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية.

(١٣) في فقه الأقليات المسلمة: حياة المسلمين وسط المجتمعات الأخرى، الدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، دار الشروق، القاهرة.

(١٤) التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين، الدكتور مصطفى بن حمزة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م، منشورات مجلة المجلس العلمي الأعلى، المغرب.

علم الاجتماع:

(١٥) السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته، د. حسن الصفار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م، دار الساقي.

(١٦) التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. مصطفى السباعي، طبعة، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م، دار ابن حزم.

(١٧) مسألة الاندماج، سلسلة آفاق الأوربية ١، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، إصدار اتحاد المنظمات الإسلامية.

(١٨) الاختلاف الديني والاندماج، أ.د. باكينام الشرقاوي، جامعة القاهرة، ورقة مقدمة لندوة جامعة الدول العربية، (إدارة المغتربين) بالتعاون مع برنامج الدراسات المصرية الإفريقية بجامعة القاهرة.

(١٩) المسلمون في أوربا، أعمال مؤتمر دولي عقد في فيينا في الفترة ما بين ٨ ـ ١٠ صفر١٤٢١ هـ -١٢ ـ ١٤ مايو ٢٠٠٠م، تحرير جعفر عبدالسلام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

(٢٠) الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها، مجموعة من المتخصصين، دار الندوة العلمية، ١٩٩٩م.

(٢١) المجتمع الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية الحديثة، أبو بكر القادري، عضو أكاديمية المملكة المغربية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢٢) الجاليات المسلمة في أوربا الغربية: مشكلات التأقلم والاندماج، تأليف عدد من المتخصصين دار النفائس، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٣) الإسلام وقضايا العصر الاجتماعية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (١٩٩٨/٢/٢٢٠).

(٢٤) التقارب والتعايش مع غير المسلمين، تأليف د. محمد موسى الشريف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م- ١٤٢٤هـ، دار الأندلس الخضراء، الإمارات العربية.

(٢٥) المجتمع والأسرة في الإسلام، د. محمد طاهر الجولاني، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار عالم الكتب.

الفكر والسياسة:

(٢٦) صناعة العداء للإسلام، رجب البنا، دار المعارف، القاهرة.

(٢٧) الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، جون إسبيزيتو، ترجمة هيثم فرحات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، دار الحوار، سوريا، اللاذقية.

(٢٨) الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، د. زكي ميلاد، تركي علي الربيعو، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

(٢٩) أركان حقوق الإنسان: بحث مقارن في الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة.

(٣٠) الإســـلام والتعـايش بـين الأديـان في أفـق القـرن الحـادي والعـشرين، د.عبـد العزيـز بـن عثمـان التـويجري، منـشورات المنظمـة الإسـلامية للتربيـة والعلـوم والثقافة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣١) مستقبل الإسلام خارج أرضه، كيف نفكر فيه؟ محمد الغزالي، طبعة دار الشروق.

(٣٢) الحوار من أجل التعايش، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م- ١٤١٩هـ.

(٣٣) الإسلام والغرب: قضايا ومواقف، د. حسن عزوزي أستاذ بكلية الشريعة بفاس، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣٤) الفعالية الحضارية والثقافة السنية، د. الطيب برغوث، من سلسلة: الوعي السنني ٥، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، دار قرطبة.

(٣٥) الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة، جراهام إي . فوللر . إيان أو. ليسر، ترجمة شوقي جلال، القاهرة مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، ١٩٩٦م.

(٣٦) الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان: الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً، سالم رضوان أبو رمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

(٣٧) الأخلاق العالمية: مداها وحدودها، الدكتور طه عبد الرحمن، سلسلة ورقات طابة، العدد ١ / ٢٠٠٨م، مؤسسة طابة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

المقـــالات:

(٣٨) إعلان نحو أخلاق عالمية، صادر عن البرلمان العالمي للأديان سنة ١٩٩٣م، كاتب الوثيقة هو: الدكتور الكاتب السويسري هانز كينغ.

(٣٩) الخطاب الوسطي في العلاقة مع الآخر الوسطية الإسلامية.. المفهوم، التحديات، الأدوار، البحث المقدّم إلى مؤتمر "المنتدى العالمي للوسطية" المنعقد في صنعاء يومي ٥ و١٤٣١/٦/٦هـ - ١٩ و٢٠١٠/٥/٢٠م، بعنوان: الوسطية الإسلامية.. المفهوم، التحديات، الأدوار، قدمه: نبيل شبيب، حمل من موقع د. زكي الميلاد.

(٤٠) المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث العددان ١١ ـ ١٢ يوليو ٢٠٠٨م ـ رجب ١٤٢٩ هـ.

(٤١) مداخلة بعنوان: التعايش الديني: مقتضياته الحضارية، ضوابطه الشرعية، تحدياته الراهنة، قدمتها الدكتورة يعيش وسيلة حرم خزار، في ندوة ٢٢/ ماي ٢٠١٢م بمراكش.

(٤٢) ورقات، كتبها سعيد حفضان، في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٧ الساعة: ٤٥ :٢٣ م، عن حوار لرئيس المجلس الإسلامي الأوربي للإفتاء والبحوث، الشيخ حسين محمد حلاوة، حاوره عبد الباقي خليفة، عن مصطلح المواطنة والاندماج.

(٤٣) مقال حرب على الإسلام أم حرب على المسلمين؟ ظاهرة "الإسلاموفوبيا" .. قراءة تحليلية، بقلم: الدكتور عبد المعطي زكي إبراهيم.

(٤٤) بحث مرض جديد في الغرب اسمه "إسلاموفوبيا" الخوف من الإسلام، أ. رجب البنا.

(٤٥) مقال تصاعد الإسلامفوبيا في أوربا، موقع مفكرة الإسلام، الأحد ٢٩ أبريل ٢٠١٢م، قسم أخبار العالم العربي والإسلامي.

(٤٦) مقال الإسلامفوبيا تتقدم في أوربا، بقلم محمد عيادي، موقع "مغرس"، بتاريخ ١٧ـ ٠٣ ـ ٢٠١٠م.

(٤٧) التعايش الديني: مقتضياته الحضارية، ضوابطه الشرعية، تحدياته الراهنة، د. يعيش وسيلة حرم خزار.

(٤٨) المجتمع المدني وإشكاليات اندماج العرب والمسلمين في بلاد المهجر، د.هويدا عدلي، أستاذ العلوم السياسية المركز القومي للبحث الاجتماعية والجبائية، ورقة مقدمة لندوة "الهجرة العربية الإفريقية إلى الخارج: مشكلات وحلول"، جامعة الدول العربية (إدارة المغتربين)، نوفمبر ١٨-٢٠٠٨/١٧م.

(٤٩) مقال الإسلامفوبيا وسياقاتها المعرفية، محمد حلمي عبدالوهاب، الأحد ٣٠ مارس ٢٠٠٨م، موقع إسلام أون /ONISLAM.

(٥٠) مقال الإسلاموفوبيا وحقوق الإنسان، موقع الجزيرة. نت/ AL JAEERA.NET، قسم المعرفة وجهات نظر، الخميس ٢٠٠٧/٢/١م.

* * * *